

جامعة الجزائر 03

كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية

قسم الدراسات الدولية

محاضرات في مقياس ابستمولوجيا علم السياسة

محاضرات أقيمت على طلبة السنة الثانية علوم سياسية

جذع مشترك

أستاذ المادة :

د/ وليد شمالال

السنة الجامعية:

2020 / 2019 م

لماذا ندرس مادة ابستمولوجيا علم السياسة كمدخل تمهيدي

المحاضرة رقم 01 : نحو ايجاد أرضية معرفية واستقرار لفضي للابستمولوجيا كحقل معرفي

جديد .

- الضبط الدلالي و السيمانطقي للابستمولوجيا .
- ايتيمولوجية المفهوم .
- كرونولوجيا تطور الأبحاث والدراسات الابستمولوجية .
- نحو ايجاد خطوط تمفصل بين الابستمولوجيا والحقول المعرفية الأخرى .

المحاضرة رقم 02: التمجيزات الابستمولوجية الكبرى لدراسة التحولات المعرفية .

- كارل بوبر ومنطقه القابلية للتكذيب وأنطولوجية العوالم الثلاث
- تبولوجيا توماس كوهن وطرح مبدأ اللامقايضة
- البرامج البحثية اللاكاتوسية
- تيبولوجيا باول فيرابند ومنطق الفوضى المنهجية الخلاقة

المحاضرة رقم 03 : القطيعة الابستمولوجية لدى غاستون بشلار

- القطيعة الابستمولوجية الباشلارية:
- العائق الابستمولوجي عند غاستون باشلا

محاضرة رقم 4 : ارساء معالم مسار تطور حقل علم السياسة بين التراكمية المعرفية

البوبرية والقطيعة الابستمولوجية الباشلارية

- نحو مأسسة علم السياسة كحقل معرفي مستقل

- أول تحدي أنطولوجي في حقل علم السياسة التعددين في مقابل الدولتين
- التحول البراديمي الأول: ذوي النزعة السلوكية في مقابل ذوي النزعة التعددية
- التحدي البراديمي الأول دعاء مؤتمر من أجل علم سياسة جديدة في مقابل ذوي النزعة السلوكية

المحاضرة رقم 05 بنية النموذج المعرفي لعلم السياسة وفق لمبدأ اللامقاييسية الكوني

المحاضرة رقم 06 :علم السياسة والدخول في في فخ عصر وسيط جديد

المحاضرة رقم 07:مدخل لعلم التعقيد كبراداييم تحليلي جديد في حقل علم السياسة

- الانتقال من الفيزياء الحداثية إلى الفيزياء مابعد الحداثية
- افتراضاتها المعرفية
- نظرية الشواش لأعمال لورنتز وبوينكر
- الجانب الغريب وأثر الفراشة لأبحاث إدوارد لورنتز:
- التعقيد كبراداييم جديد في حقل العلاقات الدولية

المحاضرة رقم 08 :الإزاحة الإبتيمية وفينومينولوجيا السلطة لدى أبحاث ميشال فوكو

- الأركولوجيا من دراسة علوم الآثار إلى دراسة تحليل الخطابات
- التحول من الأركيولوجيا إلى الجينيولوجيا
- الإزاحة الإبتيمية لدى ميشال فوكو
- التحليل الميكرو فيزيائي للسلطة والبحث في اللامفكر فيه لميشال فوكو

المحاضرة رقم 09:دعاء ذوي النزعة ما بعد الحداثة وهدم الأنساق المعرفية والنظرية للاتجاهات الوضعية

- المنظارات المعرفية لضبط وتحديد اتيمولوجيا المفهوم

- ما بعد الحادثة امتداد أم رد فعل على دعاة ذوي النزعة ما بعد الحادثة
- الأسس الابستمولوجية والمنهجية لدعاة النزعة ما بعد الحادثة
- التفكيكية لدى جاك دريدا
- أهم الافتراضات المعرفية لدعاة ذوي النزعة ما بعد الحادثة في حقل علم السياسة والعلاقات الدولية

✓ لماذا ندرس مادة ابستمولوجيا علم السياسة

قد يتساءل طالب العلوم السياسية جذع مشترك السنة الثانية عن مغزى تدريس هذه المادة ضمن المواد المدرجة في المقررات الدراسية و التي يمكن ضبطها فيما يلي:-

■ تظهر المسوح الأدبية عن الدراسات التأصيلية في الحقل المعرفي لعلم السياسة والعلاقات الدولية منذ تسعينيات القرن الماضي تراجع التقليد البحثي المهيمن (الوضعي) والذي فتح معه ظهور لأنماط سلوكية وظاهرانية غير مألوفة مثل الحوكمة العالمية، الشبكية كتحليل معرفي جديد التعقيد كبراداييم معرفي جديد في حقل علم السياسة، التطهير الاثني، خصوصية الاقتصاد، خصوصية الأمن، خصوصية السياسة الخارجية، دور المجموعات الابستمية في هندسة ورسم السياسة العامة العالمية بدل النماذج الدولانية التقليدية.

■ معرفة التحولات البراديمية التي شهدتها حقل علم السياسة وعن مدى نجاعة المساعي البحثية اللاكاتوسية والكوهنية في احداث تحول جدي (نقدي) للأطر المعرفية و التقليدية داخل الحقل

■ محاولة إيجاد آليات تحليلية لجسر الهوة بين النظرية والممارسة، حيث أصبحت السياسة العالمية تتسم بقدر متزايد من التعقيد إلى الحد الذي صارت معه المقاربات المهيمنة على الحقل غير قادرة على تقديم فهم متسق لها، ناهيك عن تحقيق مزاعمها في بناء نظرية كبرى في الحقل، ولم تزد الهوة بين المستوى النظري ولممارساتي إلا اتساعا واستعصاءا على التجسير خاصة عندما يتعلق الأمر بتزويد الممارس (صانع القرار) بالفهم الكافية والتوصيات اللازمة لصناعة قرارات ملائمة .

المحاضرة رقم 01 : نحو ايجاد أرضية معرفية واستقرار لفضي للابستمولوجيا كحقل معرفي

جديد .

✓ الضبط الدلالي و السيمانطيقي للابستمولوجيا

لعل أول ما يواجهنا من عوائق ابستمولوجية عندما نقدم على دراسة هذا الحقل المعرفي الجديد من الدراسات والأبحاث التي تتخذ من المعرفة موضوعاً لها، وهو مشكل الابستمولوجيا ذاتها أي تعريفها، وتحديد ميدان البحث الخاص بها، والكشف عن خطوط التفصل بينها وبين المصطلحات والحقول المعرفية المتداخلة الأخرى.

ذلك لأن العلم أو هذا الحقل المعرفي من الدراسات والأبحاث قديم وحديث جداً في آن واحد، ومعروف لدى الجميع أن محاولة الفصل في الشيء الواحد بين ما هو قديم وجديد. محاولة صعبة خصوصاً عندما يتعلق الأمر بميدان المعرفة البشرية التي تتداخل أجزاؤها وتتشابك فروعها، والتي تشكل على الرغم ما يحدث فيها من قفزات وثورات، سلسلة متواصلة من الحلقات يصعب الفصل بينها أو مجموعة منها عن السلسلة كلها فصلاً نهائياً تاماً.

وبذلك فالباحث أو طالب العلوم السياسية لدى دراسته هذا الحقل المعرفي قد يواجه بعض من المطبات المعرفية يصعب التملص في مصيدتها والتي يمكن ضبطها فيما يلي:

- أن البحث في مثل هذه القضايا كتعريف العلم وبيان موضوعه ومنهجه وغايته، وتحديد علاقته بغيره من العلوم هو جملة من الأبحاث التي تنتمي بشكل أو بآخر إلى عالم الفلسفة، وما هو معرف أن فصل الأبحاث التي تنتمي إلى الفلسفة لاتخاذها ميداناً للبحث المستقل من أصعب الأمور. خصوصاً إذا كان موضوع هذا الشيء ينتمي إلى عالم الفكر والنظر إلى عالم المادة والواقع.

▪ العائق الآخر أن الابستمولوجيا أو الدراسات الابستمولوجية تعالج ما تتناوله بالتحليل والنقد نتائج العلوم الطبيعية منها والإنسانية⁽¹⁾، ذلك أنها تقع في مصيدة التأويلات الفلسفية للكشوف العلمية التي تتم في هذا الميدان أو ذلك بالصيغة الأيديولوجية الشيء الذي يصعب تحديد إطار هذا العلم وبيان غاياته وحدود آفاته، بكيفية موضوعية دقيقة.

▪ العائق الآخر أن مصطلح ابستمولوجيا يختلف مدلوله سعة وضيقاً من لغة إلى أخرى، وعدم اتفاق اللغات الحية على مدلوله وحدود موضوعه، غير أن هذا الحقل المعرفي نظراً لشيوعه الواسع في الأواسط العلمية والفلسفية المعاصرة دليل على وجود مسوح أدبية وتحليلات جديدة لمشاكل قديمة، تدعوا إلى جعلها موضوعاً لعلم جديد⁽²⁾.

وبذلك ماذا نقصد بالابستمولوجيا، وما علاقتها بالأطر المعرفية الأخرى، وما حدود وطبيعة البحث الابستمولوجي في حقل علم السياسة؟.

✓ ابستمولوجية المفهوم

إن كلمة Epistémologie تعني حرفياً Théorie de la science "نظرية العلم"، وهو لفظ مستحدث لا يوجد في الليتري Le Littré ولا في لاروس المصور الجديد Nouveau la rousse illustré، ويرجع معجم روبر Robert ظهوره في المعاجم الفرنسية إلى ملحق لاروس المصور La rousse illustré لسنة 1906، وحوالي هذا التاريخ أيضاً كان "جيل

(1) - محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطوير الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، بيروت، الطبعة التاسعة، 2018، ص 17.

(2) - المرجع نفسه، ص 18

لشلياي "Juler Lachelier، ينظر إليه عند تأليف معجم الفلسفة vocabulaire de La philosophie للاند على أنه لفظ جديد يبحث عن الأسف⁽¹⁾.

أما من ناحية الاشتقاق اللغوي فهو مصطلح صيغ من كلمتين يونانيتين، الابستمي épistémè ومعناها العلم وهو موضوع الابستمولوجيا، اللوغوس (Logos) ومن معانيها علم، نقد، نظرية، دراسة، ويدل على النهج أي أنها من حيث الاشتقاق اللغوي، هي علم العلوم أو الدراسة النقدية للعلوم⁽²⁾.

يعرف لا لاند Lalande في معجمه الفلسفي الابستمولوجيا بأنها "فلسفة العلوم"، ثم يضيف ولكن بمعنى آخر أكثر خصوصية فهي ليس بالضبط دراسة المناهج العلمية، هذه الدراسة التي لها موضوع الميتودولوجيا، والتي تشكل جزءاً من المنطق، وليس كذلك تركيباً أو استنباطاً للقوانين العلمية وإنما هي أساس الدراسة النقدية لمبادئ مختلف العلوم وفروضها ونتائجها بقصد تحليل أصلها المنطقي لا السيكولوجي وبيان قيمتها وحصيلتها الموضوعية⁽³⁾.

فمن الواضح أن لا لاند هنا يحرص على التمييز بين الابستمولوجيا من جهة وبين الميتودولوجيا وفلسفة العلوم وكذلك لم يأت على ذكر نظرية المعرفة Gnoséologie أو Théorie de la connaissance، لأنها تختلف في نظره في نظر الفرنسيين عامة عن الابستمولوجيا بمعناه الدقيق الخاص⁽⁴⁾، ومن جهة تسعى الابستمولوجيا إلى الإجابة عن

⁽¹⁾- Robert Blanché, L'Epistémologie, que sais-je-no 1475, Paris presses universitaires de France, 1972, P09.

⁽²⁾- علي حسين كركري، الابستمولوجيا في ميدان المعرفة، شبكة المعارض لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2010، ص15.

⁽³⁾- مليكة جابر، اسهام الابستمولوجيا في تعليمية علم الاجتماع، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن، جوان 2012، ص393.

⁽⁴⁾- محمد عابد الجابري، مرجع سابق الذكر، ص ص18، 19.

جملة من الأسئلة يقع في موضوع الصدارة منها ما يلي ، ما المعرفة؟، ما الذي يمكن أن نعرفه؟ كيف نعرف ما نعرفه؟، كيف تكون اعتقاداتنا مسوغة أو مقبولة؟.

حيث تقتضي الإجابة عن السؤال الأول تحديد مفهوم المعرفة، وتتطلب الإجابة عن السؤال الثاني بيان مجال المعرفة وأنواعها مثل المعرفة الحسية والمعرفة الأولية والمعرفة الدينية والمعرفة الأخلاقية، ومادامت المعرفة ممكنة فهذا يعني أننا نستطيع تنفيذ حجج النزعة الشكية في المعرفة، ويتعلق السؤال الثالث بمصادر المعرفة المتنوعة، وهي العقل والتجربة والحدس الوجداني، والسؤال الرابع ينصب على مفهوم التسويغ "التبرير" الابستمولوجي⁽¹⁾، وإذا كان اللفظ جديداً، فلأن الشيء الذي يشير إليه ليس هو أيضاً قديماً جداً، صحيح أن كل فلسفة تتضمن تصوراً معيناً للمعرفة فمحاورة التياتات Théétète لـ: أفلاطون سبق أن عرضت بالفعل نظرية في العلم بمعنى واسع، إلا أن كلمة العلم اتخذت منذ القرن الثامن عشر معنى أكثر حصراً ودقة، وهو المعنى الذي نقصده حين نتحدث اليوم عن "أكاديمية العلوم" Académie des sciences، وبذلك حتى أنه القرن السابع عشر، وبعد الدفعة الحاسمة التي أحدثها غاليلي Galilée، ظل العلم الجديد غير منفصل بما فيه الكفاية عن الفلسفة، فعند نيوتن كما عند ديكارت كما يعرض العلم تحت عنوان "مبادئ الفلسفة"، وظلت عبارة "الفلسفة الطبيعية" Natural philosophie عن الإنجليز وحتى نهاية القرن التاسع عشر تعني الفيزياء، كما أن كلمة علم بالألمانية Wissenschaft احتفظت بالمعنى الأوسع الذي كانت تنمو فيه قديماً إلى التطابق مع كلمة فلسفة⁽²⁾، وبذلك لا الآلة الجديدة Nouveau organum، أو الإنشاء العظيم للعلوم "لـ باكين ولا" مقالة الطريقة Discours de

(1) - عصام زكريا جميل، اتجاهات معاصرة في نظرية المعرفة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2012، ص10.

(2) - Rebert Blanché, Op cit, P09.

Recherche méthode: ديكارت، ولا "اصلاح العقل" لـ "سبينوزا"، ولا "الباحث عن الحقيقة" Recherche de la vérité لـ مالبرانش يمكن اعتباره مؤلفات في الابستمولوجيا⁽¹⁾.

ونقترب من الابستمولوجيا أكثر بقليل مع الكتاب الرابع من البحث في "العقل البشري" لـ لوك وخاصة الرد عليه الذي يقدمه ليبنتس في بحوثه الجديدة، وفي القرن الثامن عشر المؤلف الذي يمثل مسبقا أحسن تمثيلا ما ستكون عليه الابستمولوجيا هو بلا شك "المقال التمهيدي للموسوعة" Discours préliminaire à l'encyclopédie، الذي كتبه دلمبار، أنا في بداية القرن الموالي فالمجلد الثاني من فلسفة الذهن البشري 1814 لـ: ديقالد ستيوارت، ودروس في الفلسفة الوضعية بداية من 1826 لـ: أوغيست كونت والمقال التمهيدي "لدراسة الفلسفة الطبيعية" 1830 لـ: جون هارشل، يمكن اعتبارها مبشرة بالابستمولوجيا، ولكن في الثلث الثاني من القرن التاسع عشر صدر بصفة متزامنة مؤلفان رئيسيان الذي ترجع لها الفضل في بداية ما نسميه اليوم بالابستمولوجيا وهو "نظرية العلم" 1837 لـ: برنار بلزانو، والآخر خاص بالعلوم الطبيعية، وهو فلسفة العلوم الاستقرائية لـ: واول، إذن فلفظ Wissenschafts الذي يضعه بلزانو عنوان لكتابه يستحق برهنة من التمهيص، فهو يوافق حرفيا في الألمانية ما يعنيه لفظ Epistémologie إضافة إلى أبحاث، أنتوان وأقيستان كورنو في رسالة لتسلسل الأفكار الأساسية في العلوم والتاريخ 1861 التي جاءت بعد دراسات واول في أسس المعرفة الإنسانية وخصائص النقد الفلسفي 1851، ولا شك أن لـ واول تأثير مباشر بدرجة أقل على ماخ الذي ينتمي إلى الجيل الحوالي إلا أن كتابه الهام "الميكانيكا ونموها" 1883 وهو ذات توجه تاريخي نقدي، وحوالي 1900 نما التيار الهام المسمى بنقد العلوم الموجه ضد الوثوقية أو الدوغمائية العلمية Dogmatisme science⁽²⁾، أهم المؤلفين الذين سلكوا هذا السياق نذكر منهم بونكاري ديهام وميلو وأدلوروا بالنسبة إلى فرنسا واسي

(1)- Ibid, P10.

(2)- للاطلاع أكثر أنظر: روبر بلانشي، الابستمولوجيا ترجمة محمود بن جماعة، دار محمد علي للنشر، تونس، صفاقس، الطبعة الأولى، 2013، ص ص 14، 15.

ماخ وأستولد بالنسبة للألمانيا واسي بيرس وبيرسن بالنسبة للمناطق الناطقة بالإنجليزية وفي نفس الوقت كانت أزمة الأسس التي أحدثتها نقائض المجموعات Antinomies des ensembles اضطر علماء الرياضيات في إعادة النظر بمبادئ علمهم، وبهذا الاكتفاء بين الكفاية العلمية والتفكير الفلسفي هو النقاء اقتضت بإلحاح وضعية العلم وجعلته التخصص العلمي الراجع له نمو العلم ووجدت الابستمولوجيا كتخصص أو كحقل معرفي كرسست مبادئها انطلاقاً من الواقع⁽¹⁾

٧ نحو ايجاد خطوط تفصل بين الابستمولوجيا والحقول المعرفية الأخرى

يمكن القول أنه من الصعب إقامة حدود فاصلة بين الابستمولوجيا ومختلف الدراسات والأبحاث المشابهة لها كما حاول لالاند التمييز بينها في تعريفه للأبستمولوجيا، فالغالب أن الابستمولوجيا تعالج مسائل هي بالأصالة من ميدان الميتودولوجيا أو المنطق أو فلسفة العلوم أو نظرية المعرفة، مما حد بأحد الباحثين إلى القول سواء سمياه منطقاً خاصاً أو منطقاً كبيراً أو نظرية اليقين أو نظرية المعرفة أو ابستمولوجيا أو كنوزيولوجيا أو علم المعايير أو النقد فإن البحث الذي نقوم به كان أن هدفه دوماً هو بيان شروط المعرفة البشرية وقيمتها وحدودها، فالإنجليزيين والإيطاليين يجمعون تحت مصطلح ابستمولوجيا تلك الدراسات النقدية التي جمعها لالاند مع نظرية المعرفة والميتودولوجيا، أما الألمان فلم يميزون في لغتهم بين نظرية المعرفة و الابستمولوجيا، وإن كانوا يعنون بهذا المصطلح الأخير فلسفة العلم جميعها، والحجة في ذلك أنه من الصعب التمييز بين الابستمولوجيا والميتودولوجيا ونظرية المعرفة وفلسفة العلوم، لكونها جميعها متداخلة متشابكة، فإذا كانت الابستمولوجيا هي الدراسة النقدية لمبادئ العلوم وفروضها ونتائجها وبذلك من الصعب نقد نتائج العلوم دون فحص المناهج الذي اتبع للحصول عليها وفحص المناهج هو من اختصاص الميتودولوجيا كما أن نقد النتائج وتأويلها هو من اختصاص فلسفة العلوم، وهو الشيء الذي يمس نظرية المعرفة عندما تنتظر

(1) - روبر بلانشي، مرجع سابق الذكر ، ص16.

إلى هذه النتائج من زاوية مدى تحيزها تحيزاً صادقاً أو غير صادق كامل أو غير كامل عن الحقيقة الموضوعية⁽¹⁾.

ومع ذلك نحاول أن نفكك أحاجي العلاقة بين هذه الحقول المعرفية المتشابكة والمتداخلة مع الابستمولوجيا

✓ الابستمولوجيا ونظرية المعرفة:

يمكن القول أن نظرية المعرفة تهتم بتحليل طبيعة المعرفة بالترميزات والمصطلحات مثل الحقيقية و الاعتقاد والتحليل، كما تعتمد على دراسة وسائل انتاج المعرفة، لذلك أصبح البحث في نظرية المعرفة أو تعدد معانيها ومدلولاتها يتضمن الإشارة إلى عنصرين أساسيين وهما:

1/ وجود الذات العارفة .

2/ وجود موضوع أو الشيء المعروف وهو ما يتضمنه العالم الخارجي وبناءً على ذلك فنظرية المعرفة هي مصطلح مركب بين لفظين وهما: نظرية وهي تركيب عقلي مؤلف من تصورات منسقة تهدف إلى ربط النتائج بالمبادئ والمقدمات أو هي فرض علمي يربط عدة قوانين ببعضها البعض.

والثاني المعرفة في التحليل الفلسفي هي ثمرة التقابل والاتصال بين ذات مدركة وموضوع مدرك، ومعنى ذلك أن المعرفة عملية إدراك، فعندما يدخل الموضوع في علاقة معرفية يصبح معروفاً أي مدركاً، أو هي العلم الذي يبحث في المسائل المتصلة بطبيعة العلم الإنساني⁽²⁾، وعن إمكانية قيام المعرفة من عدمها فهناك اتجاهين للتحليل :

(1) - محمد عابد الجابري، مرجع سابق الذكر، ص ص 20-21.

(2) - آمنة عبد السلام الزائدي، مفهوم نظرية المعرفة، مجلة كلية الآداب، العدد الثالث، (ب.س.ط)، ص ص 351، 352.

✓ **الاتجاه الدوجماتيقي:** وهو القائل بإمكانية قيام المعرفة والقدرة على التوصل لليقين.

✓ **الاتجاه الثاني وهو اتجاه الشك المنهجي لدى سقراط:** الذي انتهج منهجاً جديداً في البحث هو المنهج المعروف بالتهكم والتوليد واستخدام أرسطو ومدرسته المشائية الشك استخداماً منهجياً⁽¹⁾.

ونقر أغلب المسوح الأدبية ضرورة التمييز بين الابستمولوجيا استناداً إلى أن الابستمولوجيا تهتم بنظرية المعرفة العلمية، في حين تتناول نظرية المعرفة كل أنواع المعارف، وعند التمييز بين هذين المفهومين نجد ثلاث اتجاهات أساسية.

✓ **الاتجاه الأول:** يعتمد الناطقون باللغة الانجليزية باستخدام اللفظين بالمعنى نفسه، فهم يُعرفون الابستمولوجيا أو نظرية المعرفة "بأنها ذلك الفرع من فروع الفلسفة الذي ينصرف على دراسة طبيعة المعرفة وحدودها".

✓ **أما الاتجاه الثاني:** فيمثل موقف الابستمولوجيين الفلاسفة الذين يقربون بين الابستمولوجيا ونظرية المعرفة، فالعلاقة بينهما هي علاقة الجنس بالنوع لأن الابستمولوجيا تبحث في صورة خاصة من صور المعرفة وهي المعرفة العلمية، حيث أن الابستمولوجيا تقتصر على شكل وحيد من أشكال المعرفة وهي المعرفة العلمية، وعلى الرغم من ذلك فإن التمييز سرعان ما يمحي عندما نرجع النوع إلى هذا الجنس وحده كما هي الحال لدى المؤلفين الذين يطلقون تعبير المعرفة على المعرفة العلمية وحدها ويرون أن كل ما عدا ذلك لعب لفظي خال من أي مدى معرفي.

(1)-آمنة عبد السلام الزائدي، المرجع السابق الذكر، ص 360، 361.

✓ الاتجاه الثالث: يمثلته الفلاسفة المنتمون إلى الوضعية المنطقية والذين يرفضون أن تكون هناك أي علاقة بين الابستمولوجيا ونظرية المعرفة فلا يعترفون بأية نظرية في المعرفة لا تُكون تحليل منطقي لقضايا العلم⁽¹⁾.

يمكن القول أن تحول موضع الابستمولوجيا من لغة إلى أخرى أثر بشكل كبير في ضبط العلاقة بينها وبين نظرية المعرفة كما حددتها كل من "الموسوعة البريطانية" لسنة 1961 بعدم الفصل بين المفهومين، كذلك الحال "لموسوعة الفلسفة" 1967، التي هي الأخرى لا تميز بين المفهومين، وأخيراً "الموسوعة الإيطالية"⁽²⁾، التي تكتفي بوضع الابستمولوجيا بنفس موضع نظرية المعرفة لسنة 1970، لكن في النهاية يمكن أن نقول أو نبسط العلاقة بين الابستمولوجيا ونظرية المعرفة لطلبة العلوم السياسية وهي أن الابستمولوجيا تهتم بالدراسات العلمية وتحاول التملص من مصيدة الفلسفة أما نظرية المعرفة تشمل العلوم العامة والعملية معاً. وبذلك فالعلاقة بينهما هي علاقة الجزء بالكل ، أي الابستمولوجيا هي الجزء ونظرية المعرفة هي الكل.

✓ العلاقة بين الابستمولوجيا وفلسفة العلوم:

من العسير أن نكتشف بدقة التمييز بين الابستمولوجيا وفلسفة العلم وعلى هذا النحو فصاحب كتاب "قراءات في فلسفة العلوم" يميز بين أربع وجوه مختلفة لفلسفة العلم:

- دراسة علاقته بالعالم والمجتمع.
- السعي لوضع العلم و طرح مجموعة القيم الإنسانية.
- المحاولات الفكرية التي تنطلق من نتائج العلم وتجاوزها لبلوغ ما يمكن تسميته فلسفة الطبيعية⁽³⁾. ويذهب بعض إلى أبعد من ذلك بفصل الابستمولوجيا عن كل ماله علاقة

(1)- مليكة جابر، اسهام الابستمولوجيا في تعليمية علم الاجتماع، مرجع سابق الذكر، ص ص394، 395.

(2)- المرجع نفسه، ص395.

(3)- روبرت بلانشي، ، مرجع سابق الذكر، ص21.

بالفلسفة هذا بالطبع ما يميل إليه الذين لا يقرون بشكل آخر من المعرفة سوى المعرفة العلمية مستبدين إذن كل فلسفة لا تعتزل في تحليل العلم من هذا المنحى يعتبر "برنشفيك" بأن تقدم العلم ليس دوماً تدرجياً بل يمكن أن يكون ارتدادياً وفي المعنى نفسه يميز "ج فراي" بين التقدم الخطي والتقدم الدائري فالنمو المعاصر للإبستمولوجيات التي يمكن أن توصف بالداخلية والجهوية فهي داخلية لأنها مبنية من الداخل من قبل العلماء المعنيين، وهي جهوية لأن كل واحدة منها تبني لحاجات علم معين ومنذ ذلك انهمك علماء الرياضيات والميكانيك بالتخلي عن الفلسفة في إزالة النقائص وحل الأزمات المعرفية⁽¹⁾.

يمكن القول أن الابستمولوجيا باتت تقلت أكثر فأكثر من قبضة الفلاسفة، وهذه سمة من سمات الابستمولوجيا المعاصرة الماثلة في الاضطلاع للعلماء المختصين بالمشكلات الابستمولوجية، وذلك ليس نتيجة لوضع عابر بل لأن الأزمات الحديثة التي زعزعت مختلف العلوم والثورات أرغمت أولئك الذين يمارسونها على العودة لمبادئها⁽²⁾.

بالرغم أن عدة ابستمولوجيات كبرى في زمننا كما يحلل روبرت بلانشي ظلت مرتبطة في الواقع بالفلسفة على سبيل المثال أبحاث ما يرسن وكسيوار وبرنشفيك وبشار على اعتبار أن هناك من المشكلات من الابستمولوجيا العامة قائمة الذات وليس ممنوعاً بالتأكيد على العالم أن يواجهها، ولكنها تتجاوز كُنائته المتميزة كمتخصص، وبذلك يعصب على الابستمولوجيات الداخلية والجهوية ذاتها أن لا تتجاوز حدودها، وإذا حرصنا أن نميز بين الابستمولوجيا وفلسفة العلم نقول أن الابستمولوجيا جزء من فلسفة العلم، فهي الأقرب بلا شك إلى العلم، وإما أنها تمتد في منطقة وسطى بين العلم والفلسفة فتتسع على جوانبها على حساب كلاهما⁽³⁾.

(1) - روبرت بلانشي، مرجع سابق الذكر، ص 22.

(2) - مليكة جابر، اسهام الابستمولوجيا في تعليمية علم الاجتماع، مرجع سابق الذكر، ص 396.

(3) - روبرت بلانشي، مرجع سابق الذكر، ص 23.

✓ علاقة الابستمولوجيا بعلم المناهج:

الميتودولوجيا اشتقتها اللغوي والدلالي من Méthode وهي مشتقة منه Methodos اليونانية ومعناها الطريق إلى أو لاحقاً، المنهج المؤدي لها...، وهي تدل على جملة العمليات العقلية والخطوات العملية التي يقوم بها العالم من بدئ عمله أو بحثه حتى نهاية بحثه من أجل كشف الحقيقة والبرهنة عليها.

فإذا كانت الابستمولوجيا تتناول النقد لمبادئ العلوم وفروضها ونتائجها لتحديد قيمتها وحصيلتها الموضوعية كما يقول لالاند، فإن الميتودولوجيا تقتصر فقط على دراسة المناهج العلمية دراسة وصفية تحليلية لبيان عملية الكشف العلمي، وطبيعة العلاقة التي تقوم بين الفكر والواقع، فهناك فرق بينها في مستوى التحليل فمستوى التحليل في الميتودولوجيا مقصورة في الغالب على الدراسة الوضعية في حين أن الابستمولوجيا فهي مستوى البحث النقدي⁽¹⁾.

ويحلل "روبر بلانشيه" بأن التفرقة التي قاربها لالاند بين الابستمولوجيا وعلم المناهج هي تفرقة تخص القرن السابع عشر حين كانت الميتودولوجيا جزءاً من المنطق ويضيف بأنه لا يمكن للابستمولوجيا أن تبحث على مبادئ العلوم وقيمتها وبعدها الموضوعي دون التساؤل حول قيمة وطبيعة المناهج المستخدمة⁽²⁾.

وإذا كانت من وظائف الابستمولوجيا البحث في الثغرات العلمية ونقدها يضيف "جان بياجيه" بأن التفكير الابستمولوجي يولد دائماً بسبب أزمت هذا العلم أو ذاك، أزمت تنشأ بسبب خطأ في المناهج السابقة وتعالج باكتشاف مناهج جديدة⁽³⁾.

(1) - محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، مرجع سابق الذكر، ص 22، 23.

(2) - علي حبيب الجابري، فلسفة العلوم، دروس في الأسس النظرية وآفاق التطبيق، دار الفرقة للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2014، ص 21.

(3) - Logique et connaissance, sous la direction de Jean Piaget Paris, Gallimard 1969, P78.

وبذلك يشدد "بياجيه" على التكامل بين العلمين فالابستمولوجيا لا يمكن أن تستغني في دراسته النقدية على دراسة مناهج العلوم لأن دراسة المناهج العلمية مهمة في بيان مراحل عملية الكشف العلمي التي تعتبر في المجالات الأساسية للدراسة الابستمولوجية.

فعلم المناهج يقدم الدراسة الوصفية المستخدمة في تحصيل المعارف العملية ثم تتعدى الابستمولوجيا ذلك إلى الدراسة النقدية الرامية. لاستخلاص المبادئ التي ينطوي عليها التفكير العلمي⁽¹⁾.

والميتودولوجيا لاحقة للعمل العلمي وليست سابقة عليه، و يمكن تحديد العلاقة بينها على أنها علاقة تداخل باعتبار أن الابستمولوجيا تتقد وتحلل وتكشف ثغرات أو النتائج العلمية المتوصل إليها بعد أن لعبت الميتودولوجيا دورها في تعقب الخطوات الفكرية والعملية من أجل صياغتها صياغة معرفية صحيحة.

✓ الابستمولوجيا وتاريخ العلم:

يعتبر تاريخ العلوم مبحث ضروري للتفكير الابستمولوجي؛ هذا الأخير يحاول أن يبحث في تأسيس المعرفة العملية وبذلك لا يكون إلا بالرجوع إلى تاريخ المعرفة بصفة عامة، وتاريخ العلم خاصة فيعتبر "كونغليم" "conguilhan"، تاريخ العلوم مخبرا للابستمولوجيا أين تقوم بتحقيق فرضياتها ونتائجها وبذلك تكون مهمة تاريخ العلم الكشف عن العلاقة المنطقية التي تربط الحقيقة بالعلم عبر المراحل التاريخية المختلفة والتي تمتد الابستمولوجيا بالعناصر الأساسية والضرورية لتحليلاتها ونقدها للمعرفة العلمية⁽²⁾، من هنا يمكن القول أن الدراسات الابستمولوجية من أنواع تاريخ العلم، إنه التاريخ الذي يساعد على تبين أسس الفكر العلمي والذي يعتمد المنهج التاريخي النقدي ويهدف إلى دراسة التيارات الكبرى للفكر العلمي هذا النوع من تاريخ العلم يدخل كما يقول بوتر يمكن أن نطلق عليه التاريخ الفلسفي

(1) - علي حسين كركري، مرجع سابق الذكر، ص 80.

(2) - Paiget jeans, logique et connaissance scientifique, paris, Gallimard encycl. clop id, 1967, P08.

للعلم التاريخ الذي يربط الاكتشافات أو التيارات العلمية لا بمختلف الفلسفات الميتافيزيقية التي استندت عليها بل بالفكر العلمي وتطور العلم ذاته⁽¹⁾.

إن ما يهم الابستمولوجيا من تاريخ العلوم هو تطور المفاهيم وطرقه التفكير العلمية، وما ينشأ في ذلك من قيام نظريات معرفية جديدة لكن الإشكال المطروح هل تاريخ تطور العلم متصل أو منفصل في بناء معارفه ونظرياته في الحقول المعرفية المختلفة ربما هذا السؤال سابق لأوانه؛ وسنحاول الإجابة عليه عند التطرق إلى مبدأ التراكمية المعرفية لدى كارل بوبر، ومبدأ القطيعة الابستمولوجية "لغاستون باشلار"، وتثار نقطة محورية متعلقة بكيفية مقارنة تاريخ العلم بين الحقيقة والخطأ أي المزوجة المعرفية بينهما يطرح "بوكدان سوشو دولكسي" عضو أكاديمية العلوم ببولونيا، أن ذلك ممكن إذا سلمنا أن تاريخ العلم ليس تاريخ الآراء والنظريات العلمية ولكن تاريخ النشاط العلمي الذي يمارسه الناس وتاريخ وعيهم، المرتبط بهذا النشاط، إن تاريخ العلم بوصفه تاريخ الآراء والنظريات سيكون مضطرا إلى توجيه أبحاثه دوما نحو الآراء والنظريات العلمية الصائبة، أي أنه سيقصص مجال النمو التاريخي للمعرفة بإقصائه من هذا المجال وبكيفية تزداد صرامة الحقائق التي اتضحت اليوم أنها خاطئة ولذلك كان لابد من صياغة مفهوم آخر لتاريخ العلم⁽²⁾.

فالعلم هو معرفة الواقع ولكن معرفة الواقع لا تنشأ في الفكر البشري بواسطة كشف مباشر لبنيته، إن معرفة الواقع هي نشاطاً إنسانياً أي رابطة بين الذهن والموضوع، وبذلك يمكن القول أن تاريخ العلم هو تاريخ نشاط البشر و تاريخ وعيهم المعرفي ليس فقط تاريخ الآراء والنظريات التي يتألف منها العلم⁽³⁾.

(1) - محمد عابد الجابري، مرجع سابق الذكر، ص ص 40-41.

(2) - Pagdan, suchodoiski, les facteurs du développement de histoire des sciences, paris librairie scientifique et technique a Blanchard, 1970, P27.

(3) - محمد عابد الجابري، مدخل في فلسفة العلوم، مرجع سابق الذكر، ص44.

✓ الابستمولوجيا وسوسيولوجيا المعرفة:

منه وجهة العلاقة بينهما فيه اتجاه يقر برفض وجود علاقة بينهما كون أن الابستمولوجيا يجب أن تتعزل عن علم النفس وعلم الاجتماع لأنها ذات أهداف معيارية، بينما العلوم الاجتماعية ذات أهداف وصفية، أما الاتجاه الثاني تفترض وجود علاقة بين الابستمولوجيا والسوسيولوجيا، حيث يذهب "مارتين كوش" مؤرخ العلم "بجامعة كامبريدج" أن التطور الملموس في هذه العلاقة حدد في العقد الأخير من القرن العشرين، خاصة بعد أن وضع "ستيف فولر" اصطلاح الابستمولوجيا الاجتماعية وجعله عنواناً لأحد مؤلفاته عام 1988، وفي عام 1992 قدم مقالاً بعنوان "الابستمولوجيا راديكالية الطابع"، وفي عام 1996 قدم مقالاً بعنوان "البحث الراهن في الابستمولوجيا الاجتماعية"، وتولى قسماً الفلسفة وتاريخ العلم بجامعة كامبريدج وستانفورد، أهمية كبيرة في الدراسات الكاشفة عن هذه العلاقة أما المدخل الراديكالي فهو يسلم بتأثير العوامل الاجتماعية في إنتاج المعرفة ويسلم بأن المجتمع يمارس دوراً مركزياً في عمليات تشكيل المعرفة⁽¹⁾.

يمكن اضافة أنه هناك بعض من المداخل المعرفية قد تعتبر غامضة وصعبة الفهم لطلبة الثانية جذع مشترك علوم سياسية كالأنطولوجيا والأكسيولوجيا والطوبولوجيا وغيرها من المفاهيم المعقدة نحاول أن نحدد معانيها دون التعمق في تحليلاتها لأن كل مدخل له تحليلاته وأطره المعرفية الخاصة به.

أ- الأنطولوجيا:

الأنطولوجيا هي كلمة يونانية الأصل Logos ontos، وهي تتألف من مقطعين onto وتعني الوجود وlogia وتعني علم أي علم الوجود أو دراسة الوجود⁽²⁾ وهي نظرية الوجود بما

(1) - أحمد موسى بدوي، الأبعاد الاجتماعية لإنتاج واكتساب المعرفة؛ حالة علم الاجتماع في الجامعات المصرية في سوسيولوجيا المعرفة العلمية، المفهوم والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، سبتمبر 2009، ص75.

(2) - خلال ناظم الزهيري، أدوات تصنيف وتنظيم المعنوي الرقمي في بيئة الأنترنت الأنطولوجيا، المجلة العرقية لتكنولوجيا المعلومات، المجلد الثامن، العدد الأول، 2017، ص03.

هو وجود، وهي عند أرسطو الفلسفة الأولى أو علم ماهيات الأشياء، وأول من أدخل هذا المصطلح إلى الفلسفة "كريستيان فولف"، والأنطولوجيا عموماً تبحث في الافتراضات التي تميز بين الوجود والعدم أو اللاوجود وهو ما نجده عند "بارنييدس وأفلاطون وليبنتز وكانط" في الحقبة الفلسفية الحديثة⁽¹⁾.

لكن في تحديد العلاقة بين علم الأنطولوجيا وعلم الابستمولوجيا كرد فعل أم امتداد لها خاصة أن الطروحات الأنطولوجية فلسفياً تهتم بالأبعاد الميتافيزيقية ولها الطابع الوضعي، ولعل طرح مصطلح الابستمولوجيا المتطبعة Epistemology naturalized، والتي تعني ببساطة أن المنهج الوحيد المؤدي إلى المعرفة هو المنهج العلمي والذي صاغه الفيلسوف الأمريكي "ويلارد فان كواين" مصطلح الابستمولوجيا المتطبعة في مقالته التي تحمل نفس الاسم، وهي تعتبر امتداداً الطبيعي للتقليد التجريبي المستمر منذ "بيكون ولوك وبيركلي وهيوم" وميل إلى الوضعيين المناطق وفلاسفة العلم المعاصرين، وإن ما تعنيه الابستمولوجيا الطبيعية أن العلم ليس بحاجة إلى التبرير من خارجه، فهي مذهب معرفي ضد النزعة الأسسية التي تسعى إلى تأسيس الادعاءات المعرفية، وهو موقف يتقاسمه العقلانيون مثل "ديكارت ولايبنتز وراسل"، وعند بعض الوضعيين المناطق مثل "آير وكارناب وشيليك"، فالعقلانيون يسوغون المعرفة بالاستناد إلى بديهيات كقانون عدم التناقض وقانون السبب الكافي عند "لايبنتز"، والتجريبيون عادة ما يؤسسون المعرفة على قضايا الملاحظة أو الأفكار الحسية فإذا كانت الابستمولوجيا التقليدية التي تتبنى النزعة الأسسية علم معياري وهذا ما ترفضه الابستمولوجيا المتطبعة⁽²⁾، فالطبيعية ترى أن هناك عالم واحد ونوعية واحدة في الموجودات ويجب أن تميز بين نوعين من الطبيعية، أولاً الطبيعية المنهجية والطبيعية

(1) - حبيب الشاروني، قراءة للمصطلح الفلسفي، ترجمة صفاء عبد السالم جعفر، دار الثقافة العلمية، مصر الاسكندرية، الطبعة الأولى، أكتوبر 1998، ص 11.

(2) - أحمد يوسف، الابستمولوجيا المتطبعة وفهم للقابلية للمقارنة، دراسة في طبيعة كواين: مدخل إلى النزعة الطبيعية، 04 أوت 2018، مجلة المحطة الإلكترونية، نقلاً عن: elmahaitta.com، تم تصفح الموقع يوم: 2019/08/04.

الميتافيزيقية هذه الأخيرة التي تجعل من المسلمات الأنطولوجية غير نقدية توضع كأساس ميتافيزيقي للعلم. وبذلك تعتبر الطبعانية المنهجية الالتزامات الأنطولوجية نتيجة للالتزام الابستمولوجي وليس سابقة عليها وبذلك فهي قابلة للتعديل فالفرضيات الأنطولوجية كالفرضيات العلمية ناتجة عن المنهج العلمي بمعناه الواسع وهي قابلة للتعديل لذلك ارتبطت الابستمولوجيا المتطبعة عن كواين بدعاوي النسبية الأنطولوجية وبذلك يجب أن نتحدث عن الطبعانية المنهجية بشقيها الابستمولوجي والنسبية الأنطولوجية، وليس الطبعانية الميتافيزيقية أو ما يسمى بالمادية العلمية، وبذلك يمكن القول أن الطبعانية ببساطة هي الادعاء حسب كواين أن المنهج العلمي، هو المنهج الوحيد لإنتاج المعرفة والاجابة عن الأسئلة بما فيها الأسئلة الأنطولوجية التي تعقب طبيعة الوجود والواقع والمشقة فالعلم ليس بحاجة للتسويغ من خارجه فهو يبرر نفسه⁽¹⁾.

ب- علم القيم "الأكسيولوجيا":

- علم القيم مأخوذ من كلمة أكسيوس axios اليونانية، وتدل على ما هو قيم أو ثمين أو جديد والأكسيولوجيا Axiology هو العلم الذي يبحث في ما هو قيم وثمرتين.

أما عن طبيعة وتصنيف القيم هناك:

- قيم نظرية تقوم على نظرية المعرفة والحقيقة لذاتها على أساس ميتافيزيقي وأنطولوجي، ومنطقي، كالقول أن الخير هو العدل أو الكمال أو الاستقامة.

- قيم مثالية، كالقول مع أفلاطون بأن القيمة العليا هي مثال المثل وتعرف بما ينبغي عمله بناءً على الوازع العقلي وهو موقف أرسطو في مؤلفة "الأخلاق وكتاب السياسة".

(1) - أحمد يوسف، مرجع سابق الذكر.

وتتوزع القيمة في العصور القيمية الحديثة على العمل "ماكس فيبر"، أو الإرادة "نيتشه" أو المعرفة العلم أو القيمة الجمالية ولا ننسى البيئة والفلسفة الايكولوجية، والفلسفة النباتية التي تجد أن أصل الشر في العنف ضد الإنسان والحيوان⁽¹⁾.

المحاضرة رقم 02: التمجيزات الابستمولوجية الكبرى لدراسة التحولات المعرفية

قبل أن نخرج على أهم التمجيزات الابستمولوجية الكبرى للتحولات المعرفية لكل من كارل بوبر، توماس موهن، "أمبري لكانتوس"، و"باول فايربند"، نحاول أن نقدم مدخل تاريخي ابستمولوجي لرصد مسار التقدم المعرفي، حيث يعتبر "Whewell" أول باحث يقوم برصد مسار تطور العلم حيث قام بنشر أعماله بهذا الخصوص بين عامي 1837-1857؛ ولكن تأثيره بالنزعة الوضعية التي كانت في أوجها خلال القرن التاسع عشر جعلته يؤمن بأن العلم يرتقي بثبات نحو تحقيق من النجاحات، ففي كتابه "تاريخ العلم الاستقرائي"، يقر على الطابع الخطي للتقدم العلمي، لكن سرعان ما تعرضت وجهة نظره هذه لانتقادات لازدة من طرف معاصره "بروستر" عن طريق تجاهل النموذج الذي يطرحه "وايويل" لكل مظاهر التقدم العلمي التي يعجز عن تكييفها مع مسلماته الاستقرائية، كذلك "جون ستوارت ميل" نفسه توقف عن التناقض الموجود في تفسيرات "وايويل" للتقدم المعرفي⁽²⁾، رغم سلسلة الانتقادات التي طالت أعمال وايويل الرائدة في مجال التأريخ للعلم إلا أنها لم تنقص من قيمة ما سعى فهمه لهذا العالم، وقد تطلب الأمر قرناً كاملاً لتقديم طروحات أخرى في هذا الميدان، ومنها أبحاث "أرنيسست نيجل" في كتابه "بنية العلم" 1961 لتؤكد أن للتقدم العلمي ليس سوى احتواء

(1) - جيلد قاسم، فلسفة القيمة معناها ودلالاتها من سقراط أزمنة الحداثة، الاستغراب، 2016، ص ص 11، 12.

(2) - عادل زقاغ، النقاش المراجع ضمن النقاشات النظرية في العلاقات الدولية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، تخصص علاقات دولية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جامعة باتنة، 2010-2011، ص 18.

للمنظومة المعرفية القديمة في المنظومة الناشئة الأكثر دقة وهي رصد لأبحاث سابقة لكل من ويويل وديكارت، والتي سرعان ما أديدها كارل بوبر⁽¹⁾.

1/ كارل بوبر ومنطقه القابلية للتكذيب وأنطولوجية العوالم الثلاث

يستعمل كارل بوبر مصطلح "القابلية للتكذيب" Falsification كمعيار يشير إلى الخاصية الأمبريقية لنسق من القضايا العلمية أو لقضية واحدة، ويستعمل مصطلح التكذيب Férulation عند الإشارة إلى القواعد الواجب اتخاذها لتعيين شروط تكذيب هذا النسق فالقابلية للتكذيب تنصب على النظرية المنطقية ومدى إمكانية حملها لمكذب محتمل أو ممكن، والتكذيب يتم عندما تقبل النظرية القضايا الأساسية التي تناقضها ويعتبر بوبر النظريات العلمية أنساق نظريات يعرفها بقوله: "النظريات العلمية هي قضايا كلية وهي مثلها مثل التمثيلات اللغوية أنساقا في الإشارات أو الرموز"⁽²⁾. وقد قسم بوبر في الجزء الثاني من ضميمته توضيحات حول مختلف المفاهيم والمعاني التي يعني بها مصطلح Falsifiable ومصطلح Falsifiability.

* مصطلح Falsifiable كمصطلح منطقي تقني بمعنى معيار تمييز هذا المفهوم المنطقي الخاص القابل للتكذيب من حيث المبدأ يمكننا القول يستند مع علاقة منطقية بين النظرية موضوع البحث وفئات القضايا الأساسية (أو الكذبات المحتملة أو الممكنة التي تصفها).

* Falsifiable بالمعنى الذي تكون فيه النظرية موضوع البحث تستطيع أن تكون مكذبة نهائيا أو بطريقة ناجحة أو مبرهنة (قابلة للتكذيب بالبرهان)⁽³⁾.

(1)- المرجع نفسه ، ص 18.

(2)- Karl Popper, la logique de la ddécouverts scientifique, préface de 1959.

(3)- Ibid.

فالنظرية العلمية عند كارل بوبر نسق أكسيومي مكون من قضايا تركيبية كلية تسمح بمساعدة شروط أولية مناسبة بإعطاء تفسير سببي (علّي) لوقائع معبر عنها بقضايا شخصية، أو الذي به نقوم بالتنبؤ⁽¹⁾، فلا يرى بوبر في الاستقراء دليلاً مفيداً للقين وهو يرفض الرأي القائل بأن معيار العلمية والقضية كونها ذات معنى هو إمكان تحقيقها تجريبياً. وهو ما يعرف بنظرية إمكان التحقيق Verifiability theory، فقد رأى بوبر أن هذا المعيار لا يصلح لتقويم وتفسير معنى القضايا الكلية وبدلاً من ذلك بما يسميه معيار التقيد أو إمكان البطلان وهولاً يقوم على أساس أن القضايا الكلية ليست مستمدة من القضايا الجزئية، وإنما يمكن لقضايا الجزئية أن تتفي أو تفند النظريات الكلية⁽²⁾.

وفيما يخص منهج إثبات الزيف فهو وسيلة لتحقيق من الفروض والنظريات عن طريق تقنيدها من خلال مقارنتها مع معطيات ثم الحصول عليها تجريبياً ويقوم منهج إثبات الزيف على أساس مسلمة المنطق الشكلي التي تقيد بأن أي قضية نظرية تكون زائفة إذا كان بعضها منطقياً يلزم عن كثرة من القضايا المتسقة مع بعضها البعض ومبنية على الملاحظة وانطلاقاً من هذه المسلمة المنطقية قابل بوبر بين مبدأ التحقق الوضعي الجديد وبين مبدأ إثبات الزيف، ولم يفسر هذا المبدأ باعتباره وسيلة لتحديد إمكانية أن تكون القضية قابلة للفهم، بل باعتباره منهجاً للتمييز بين ما هو علمي وما هو غير علمي ويقر أن القضايا التي يمكن من حيث المبدأ إثبات زيفها هي فقط القضايا العلمية أما غير القابلة للزيف فهي ليست علمية⁽³⁾.

✓ طرح فكرة اللاتناظر *L'asymétrie* ما بين التكذيب والتحقيق

(1) - لخضر منبوح، فكرة التفتح في الفلسفة: كارل بوبر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2009، ص 124.

(2) - J- F malherbe, Karl Popper et le positivisme logique Paris, pdf, 1997, P99.

(3) - نعيمة ولد يوسف، مشكلة الاستقراء في ابستمولوجيا كارل بوبر دار الروافد الثقافية ناشرون، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2015، ص ص 119، 120.

دفعاً للادعاء الذي يعتبر مقارنة بوبر في فلسفة العلوم حبيسة أطروحات تجريبية المنطقية ومن ضمنها معيار التحقيق الذي لا يرى أصحابه في مبدأ التأكيد البوبري إلا نسخة أخرى منه على أساس أن هناك تناظر بين المفهومين لكن بوبر رفض هذا الادعاء في مؤلفه "منطق الكشف العلمي"، على أساس أنه ليس هناك تناظر بين المفهومين واضعاً بعض الحجج المعرفية يمكن رصدها فيما يلي:

- هناك لا تناظر منطقي أساسي ما بين التأكيد والتحقيق الأمريكي حيث أنه يمكن لمجموعة من القضايا الجزئية تأكيد القضايا الكلية فمعارضوه أنه من العبث كلية تميز التأكيد عن التحقيق وهكذا فإن صاحب النزعة التأكيدية الذي يؤكد أن القضية كل البع ببيضاء هي قضية قابلة للتأكيد، يجب أن يعترف أن كل تأكيد أو تنقيد هذه القضية الكلية يعادل التحقق وقبول القضية الوجودية يوجد بجة لا ببيضاء إنه خطأ تسمية علمية القضايا الكلية وميتافيزيقية القضية الوجودية وبذلك التمييز والتفرقة بين القضايا العلمية والقضايا الميتافيزيقية لا يستند على عوامل مثل القابلية للاختبار لكنه يستند على الطبيعة، الملاحظة أم لا للتصورات والمفاهيم التي تظهر في القضايا، ويرد بوبر على هذا أن قضية وجودية دقيقة ومعزولة أنها قضية ميتافيزيقية ليس لأنها صعبة التحقيق لأنه من المستحيل تذييها أمبريقيا أو اختبارها أيضا⁽¹⁾.

✓ المظهر الميتودولوجي للاتناظر بين التحقيق والتأكيد

يرى صاحب النزعة الحقيقية للعلم على أن العلم هو صورته المثالية، كلية المنطوقات الصادقة أو الصحيحة، ومادما لا نعرف كل هذه المنطوقات فإن العلم يجب أن يشمل كلية المنطوقات التي حققناها أو من المحتمل كلية المنطوقات التي أكدناها أو أيضا القضايا أو المنطوقات التي برهنا على احتمالها وهكذا فإن المنطوقات أو القضايا الوجودية المحققة يجب أن تكون جزء لهذا السبب من العلم، أما صاحب النزعة التأكيدية له نظرة

(1)- Karl popper, postscript to the logic of scientific discover v01, realism and the aim of science, edited by www.bathlerIII Routledge, London, 1982, PP181, 185.

مختلفة تماماً فالعلم عنده يتمثل في فروض جسورة مفسرة وجسارتها وشجاعتها تتمثل في تأكيد كمية من الأشياء يمكن أن يتبين أنها خاطئة وهكذا يبذل جهده للتحري والكشف عن الأخطاء التي فيها على أمل كشف واقضاء الفروض التي ليست جديرة بأن يعترف بها أنها نظريات تفسيرية⁽¹⁾.

وبالمقابل يرى بوبر أنه إذا افترضنا منطوقتنا أو قضايانا الأساسية صادقة فإنما نستطيع تكذيب قانون كلي، وهكذا فلأنتاظر بين التكذيب والتحقيق، يتمثل في مجموعة نهائية من القضايا الأساسية تسمح إذا كانت صادقة بتكذيب قانون كلي في حين أنها لا تستطيع بأي حالة من الحالات تحقيق مثل هذا القانون يوجد شرط يجعل التكذيب ممكناً لا يوجد شرط يسمح بالتحقيق⁽²⁾.

✓ التعزيز ودرجات التعزيز *Degré de corroboration, corroboration*:

مصطلح التعزيز في الابستمولوجيا البوبرية قدمه كبديل عن التأييد confirmation عند التجريبيين المنطقة، القائم على حساب الاحتمالات، فاختيار النظريات عند بوبر لا يتم بجمع بيانات عديدة مؤيدة لها كما يفعل التجريبيون لأن التأييد يبحث عن درجة احتمال عالية، بينما التعزيز إجراء منهجي يبحث عن درجة احتمال ضعيفة لأنه ينطلق من سعة المحتوى الإمبريقي المنطقي، الذي يزداد اتساعاً كلما قلت درجة الاحتمال فنظرية التعزيز منهج للعلم الإمبريقي لا يمكن مطابقته بالتأييد أو التحقيق فالتعزيز يلجأ إليه عند اختيار النظريات المتكافئة، وهو إجراء لا يعتمد فيه إلى البحث عن الحالات المؤيدة للنظرية ولا يلجأ فيه إلى إدخال الفروض العينية المساعدة لتحسين النظرية ضد التكذيب بل ينطلق من افتراض حالات مكذبة لها وعند فشل هذه الافتراضات التي تضع النظرية تحت التجربة القاسية فإن

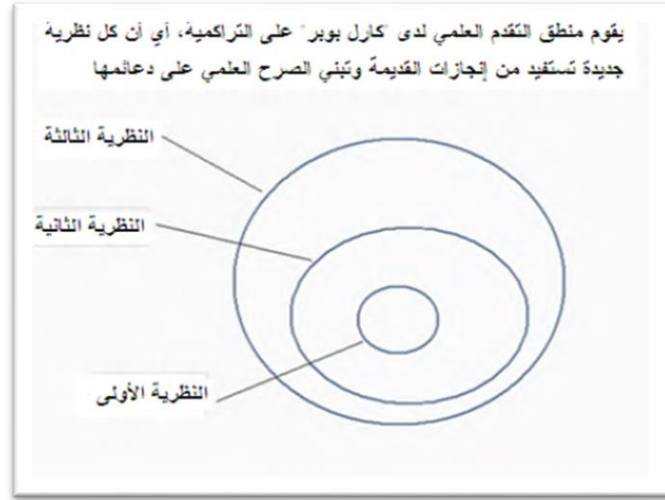
(1)- Ibid, P185.

(2)- لحضر مذبوح، فكرة التفتح في الفلسفة، كارل بوبر، مرجع سابق الذكر، ص133.

نجحت في اجتيازه عندها نقول أن النظرية أصبحت معززة لكنها تبقى مفتوحة على اختبارات أخرى قاسية⁽¹⁾.

والشكل رقم "01" و"02" يوضحان مبدأ التكذيب وتصوره حول تطور النظريات والتقدم المعرفي.

الشكل رقم 01 : يوضح منطق التقدم العلمي لدى كارل بوبر



المصدر : عادل زقاغ ، مرجع سابق الذكر، ص 25.

الشكل رقم "02": يوضح مراحل اختبار النظرية ومبدأ قابليتها للتكذيب والتنفيذ

المشكلة (محاولة إبطال نظرية موجودة) ← الحل المقترح (نظرية جديدة) ← استنباط القضايا القابلة للاختبار من النظرية الجيدة ← الاختيار ← الاختيار من أفضل نظرية ما بين النظريات المقترحة ← النظرية الجديدة قابلة للتكذيب والتنفيذ.

2/ منطق الكشف العلمي لدى كارل بوبر:

جاءت فلسفة كارل بوبر اسهاما فلسفيا معاصرا التي بداية الثلاثينات من القرن العشرين عقب نشره سنة 1934 لكتابه الرئيسي بالألمانية المعنون بـ: forschung Logikder الذي ترجم إلى اللغة الإنجليزية سنة 1959 بعنوان The logic of scientific discovery أو

(1) -لحضر مذبح، مرجع سابق الذكر، ص134.

"منطق الكشف العلمي"⁽¹⁾، تعود القيمة العلمية التي يكتسبها هذا الكتاب لمنهجه النقدي اعتبرها Radinsky منعطفا كوبرنيكيا في فلسفة العلوم المعاصرة⁽²⁾. الكتاب في الظاهر كرد فعل مباشر على أطروحات التجريبية المنطقية أو الوضعية المنطقة كما اشتهرت في العالم العربي، التي كانت تضم مجموعة من العلماء متعددي الاختصاصات جمعهم حلقة علمية سميت "حلقة فينا" وكانوا يدعون إلى فلسفة علمية تحت دعوة وحدة العلم الذين حاولوا نشرها في مجلة المعرفة، و فلسفة كارل بوبر لم تقتصر على نقد التجريبية المنطقية فقط بل تعدتها إلى نقد الفلسفة التقليدية والمنهج التقليدي في العلم⁽³⁾، ظهر كتاب بوبر في سلسلة "فيليب فرانك" و"موريس شليك" وكانت أطروحته ضحية سياقها التاريخي المعرفي الذي دفع الكثيرين لاعتباره امتداداً وتنوعاً لطروحات التجريبية المنطقية لأن الكتاب صدر عن مؤسسة Julin spwinger التي كان يملكها "فيليب فرانك وموريس شليك وموضوعات الكتاب كانت تعمل نفس المسائل التي كان يناقشها أعضاء الحلقة.

✓ مفهوم الكشف ومنطق الكشف عند كارل بوبر:

يرى بوبر أن العلم يبدأ بمشكلات وينتهي إلى المشكلات ونشاط الإنسان مثله مثل أي جهاز عضوي حي، هو انكباب مستمر لحل هذه المشكلات، فالكشف في العلم يبدو أنه يثير مشكلات موضوعية نسبياً وبدون هذا فلن يكون الكشف إلا أضغاث أحلام وخيال فردي، وهنا يبدو المفهوم البوبري للكشف أكثر كمالاً إن نحن أردنا فهما أفضل للنظرية، يقول لنا سنبحث عن إيجاد علاقتها المنطقية بالمشكلات الموجودة بالنظريات الأخرى التي تشكل معها ما يسمى Problème situation "موقف المشكلة" في لحظة معينة ويستعمل مؤلف "منطق الكشف العلمي" المخطط التالي كل نقاش علمي يبدأ بمشكلة التي يمنحها

(1)- K. popper, the logic of scientific discovery co- tradition from German to English by P.R.juliu freed and land freed Hitchens ton and co. London Basic Books. New York, 1959.

(2)- A. Radinsky G du positivisme logic au rationalisme critique in archives de philosophie, 1981, P106.

(3)- لخضر مذبوح، التفتح في فلسفة كارل بوبر، مرجع سابق الذكر، ص42.

نوعاً من الحل، وهذا الحل بدوره يكون موضوع نقاش نقدي لمحاولة استبعاد الخطأ والمراجعة النقدية تنشأ عنها مشكلات جديدة، وهكذا ينمو ويتطور العلم في جدلية مفتوحة⁽¹⁾، كما يميز بوبر وأعضاء "حلقة فينا" بصرامة سياق الكشف context of discovery وسياق التبرير context of justification ويرفض تأسيس مقاربته على أسس مفاهيم المنهج الاستقرائي ويقترح بدلاً منه "منهج المراقبة الاستنباطي" deductive method of control، فسياق الكشف هو موضوع سيكولوجية الإبداع أو الاختراع وبصفته غير قابل لإعادة بناء عقلائي والكشف يشدد على معرفة الغير وإن وجدت مطابقة ما بين نظرية جديدة وبعض الوقائع فإن هذا ليس نتيجة جهود عقلائية إنه أثر ومفعول وفرة ما الوقائع بدحضها وتنفيذها للنظرية مهيمنة ستظهر فرضيات جديدة بعدد كبير بطريقة التحولات الوضعية وغالبية هذه الفرضيات تفحص بواسطة التجربة، لكل ما دام هناك فائض لإنتاج النظريات فإنه سيبقى منها من سينجو من الصراع فتكيف النظريات مع الوقائع هو خداع بصري إنه ينتج عن مسار للانتخاب الذي يبعد الفرضيات الخاطئة، ووفرة النظريات هي التي تؤكد أن بعض النظريات ستفقد من التكرار مع تفسيرها للنجاحات الإمبريقية للنظريات الكاملة، وهنا تبرز فكرة التفتح كقيمة ابستمولوجية بوبرية معاصرة بدعوتها العلماء إلى ضرورة أن يكونوا واعين في اختياراتهم لنظرية يجب أن يكون عرضة للنقد وأن يسلموا باحتمال أن تعوض بأخرى من خلال نقاش نقدي مفتوح وهنا نستنتج تصور ديناميكي أي تصور مفتوح للعلم مختلفاً عن التصور الستاتيكي أو البنيوي المغلق ومصطلح منطق عند بوبر يعنى ميتودولوجيا ويتعارض مع كل سيكولوجية للبحث، وهكذا فنقاشات بوبر للابستمولوجيين المعاصرين كانت تهدف إلى الدعوة لمعرفة موضوعية تقصي أو تستبعد الذاتية أو النزعة السيكولوجية⁽²⁾.

(1) - لخضر مذبوح، التفتح في فلسفة كارل بوبر، مرجع سابق الذكر، ص 42.

(2) - المرجع نفسه، ص 42.

✓ كارل بوبر ونظرية العوالم الثلاث

عمد بوبر تطوير نظريته حول العقل الموضوعي أو "نظرية العوالم الثلاث" Three worlds theory، ميز بوبر في محاضراته التي ألقاها سنة 1967 لأول مرة بعنوان: "ابستمولوجيا بدون ذات عارفة" بين المقاربة الموضوعية العالم الثالث والعالم الثاني موقف المذهب الذاتي، فلأول مؤسس على نتائج النشاط الإدراكي للذهن النظريات والحجج، في حين المقاربة الثانية و الأخيرة تقارب المعرفة من الجانب السيكلولوجي والسلوكي⁽¹⁾.

- العالم الأول: هو عالم الأشياء الميتافيزيقية (العالم أو الكون موضوع المعرفة).

- العالم الثاني: عالم حالات الوعي أو الحالات الذهنية، وربما الاستعدادات السلوكية للفعل.

- العالم الثالث: عالم المحتويات الموضوعية للفكر.

- العالم الأول: مصمم من أشياء مادية فيزيائية، كيميائية أو بيولوجية، وهو العالم الذي يحوي على كل الوسائل المادية.

- والعالم الثاني: يشمل كل تجاربنا السيكلولوجية الواعية وغير الواعية أي تجاربنا الشعورية واللاشعورية.

- والعالم الثالث: يتمثل في كمال منتوجات العقل الإنساني.

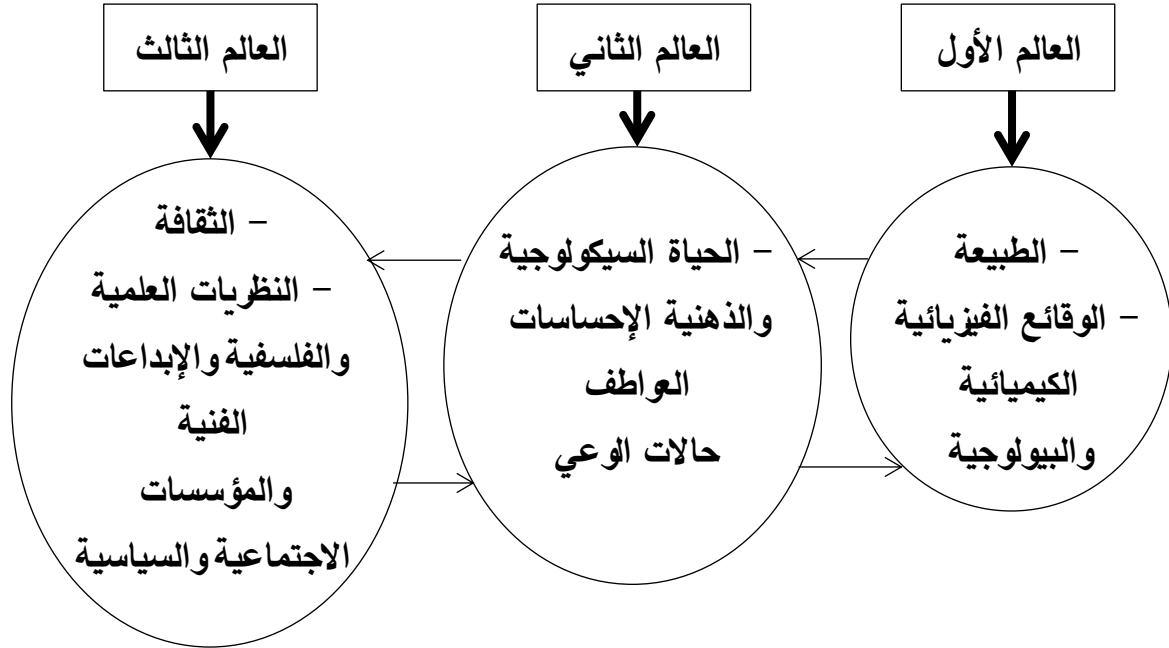
✓ تفتح العوالم الثلاث على بعضها البعض.

ليس من الصعب القول أن العالم (1، 2، 3) وإن كانت عوالم مستقلة جزئياً فإنها تنتمي لنفس الكون وتحكمها علاقة مفتوحة فيما تتفاعل تفاعلاً متبادلاً فيما بينها، فالتفتح ضرورة منطقية في الابستمولوجيا التطورية البوبرية، فالمعرفة كجزء من الكون ليست نهائية

⁽¹⁾ - Karl Popper, le connaissance objective traduction partielle de Catherine bas tyns. Edition complexes, Bruxelles 1985, P128.

ولا كاملة إنما تنمو وتتطور وأنه في أي مرحلة يجب تصورها مفتوحة على النقد والنقاش لتحسينها وتعديلها ورفضها وتكذيبها

الشكل رقم 03 يوضح التفتح بين العوالم الثلاث حسب التصور البوبري⁽¹⁾.



المصدر : لخضر مذبح، التفتح في فلسفة كارل بوبر، مرجع سابق الذكر، ص 197

وتجدر الإشارة هنا أن مفهوم الكشف ومنطق الكشف عند كارل بوبر يشير أن الانتقادات العديدة الموجهة له، وخاصة الموجهة له من قبل علماء وفلاسفة كتوماس كوهن، ولاكاتوس فايربند .

✓ تبولوجيا توماس كوهن وطرح مبدأ اللامقايضة:

الإسهام الأهم لتوماس كوهن هو استحداث مفهوم الباراديم وهو وحدة ما وراء النظرية تتجاوز انشغال بوبر بالفروض والحدوس واعتبارها الوحدات الأساسية المحركة للتقدم العلمي، ويعتبر استحداث الباراديم عند كوهن هو امتداد الأستاذة "أرثر لوفيجوي"⁽²⁾ قام الباحث "حسن

(1)-لخضر مذبح، مرجع سابق الذكر، ص ص196، 197

(2)- حسن الحريري، التأويل الابستمولوجي اللاوضعي بين براديغم توماس كون وبرنامج بحث امبري لاکاتوس، مؤسسة دراسات وأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 21 يناير 2016، ص03.

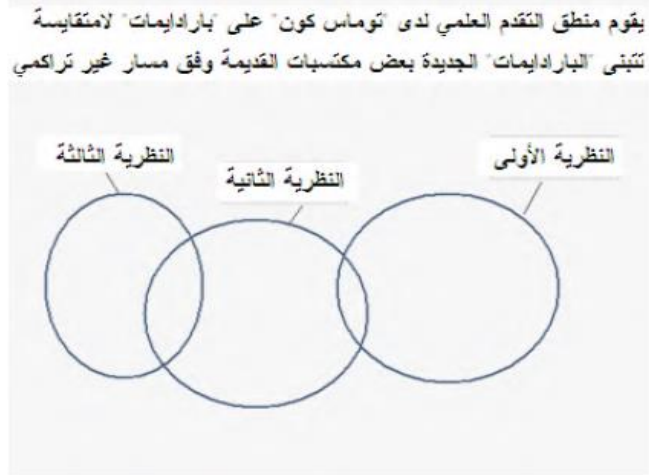
الحريري" بترجمة مفهوم Paradigme بالنموذج الموجه، فأصل هذه الكلمة باللاتينية وهو Paradigme وتعني باللغة العربية النموذج إلا أن غموض وضبابية هذا المفهوم عبر سياقات مختلفة جعله يضيف نعت الموجه بالرغم من وجود ترجمات عديدة للمصطلح "النموذج الإرشادي" وغيره على اختيار أن مصطلح النموذج الإرشادي له نظرة أو شحنة أخلاقية وليس له معنى ابستمولوجي معرفي، فالنموذج العلمي الموجه هو تلك الانجازات العلمية والتي تتقبل في زمن معين. وتشكل أساساً قوياً لطرح المشكلات العلمية ولطرق حلها، وهو كذلك مجموعة القيم التي يشترك الباحثون في قبولها والتمسك بها وتتمثل هذه القيم في المناهج والمعايير التي تتحدد وفقاً له لأن نموذجاً علمياً موجهاً واحداً يكون منطلقاً لاكتشافات عديدة، وبذلك فهو تقليد بحث علمي خاص ومنسجم ويشكل أصله الذي ينبغي أن يقاس عليه العلم المطابق من طرف العلماء الأشخاص الذين يشتركون في النموذج الموجه نفسه في أبحاثهم يلتزمون بالقواعد والمعايير نفسها للممارسة العلمية ذلك الإلزام وما ينتج عنه من اجماع ظهر شرطان للعلم المطابق⁽¹⁾.

يميز كوهن بين ثلاثة مراحل يمر بها العلم تحدث المرحلة الأولى مرة واحدة فقط وتسمى مرحلة ما قبل الباراداييم تتميز هذه المرحلة بغياب الإجماع الكافي حول نظرية واحدة في شأنها توجيه النقاش المعرفي داخل الحقل، حيث تتنافس عدة نظريات غير مكتملة وغير منسجمة، عندما يبلغ أعضاء الجماعة المعرفية مرحلة عن الإجماع والتوافق حول مجموعة من المناهج البحثية والمنطلقات المعرفية والتي من شأنها أن تساهم في بروز السياق المناسب لهيمنة نظرية معينة مما يتيح ظهور الباراداييم ينتقل الحقل إن مرحلة "العلم القياسي" "normal science"، وهي مرحلة تتوقف على مدى تماسك الاجماع الأكاديمي حول

(1) -حسن الحريري، مرجع سابق الذكر، ص ص03، 04.

البراديغم المهيمن على الحقل⁽¹⁾ مع مرور الوقت تتراكم مجموعة من الوقائع الشاذة "Anomalies" التي يصعب تفسيرها في سياق البراداييم السائد إلى الحد الذي يصبح فيه عاجزاً عن المواكبة ويدخل الحقل هنا ما يسميه كون بمرحلة الأزمة التي تتخللها محاولة فاشلة لجعل البراداييم السائد مواكبا، مما يجعل الحقل ينتقل إلى مرحلة الثالثة، "مرحلة العلم الثوري"، وفي هذه المرحلة يتم إعادة النظر في الافتراضات الجوهرية للحقل، وقد يتم حتى فحص مناهجه ومنطلقاته المعرفية، والثورة على البراداييم السائد في محاولة للوصول إلى بناء براداييم جديد حالما تتوافر للبراداييم الجديد الهيمنة على الحقل، يعود هذا الأخير إلى "مرحلة العلم القياسي" كما هو موضح في الشكلين التاليين⁽²⁾.

الشكل رقم 04 : يوضح منطق التقدم العلمي لدى توماس كوهن

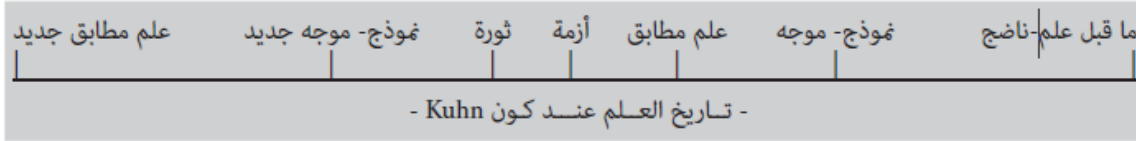


المصدر : عادل زقاغ ، مرجع سابق الذكر، ص27

(1) - محمد حمشي، نظريات العلاقات الدولية بين التعددية والهيمنة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، تخصص علاقات دولية، جامعة باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، 2010-2011، ص 32، 33.

(2) - المرجع نفسه، ص33.

الشكل رقم 05 : يوضح مراحل بناء باراداييم ومبدأ اللامقاييسية المعرفية



المصدر : حسن الحريري، التأويل الابستمولوجي للوضعاني بين براديغم توماس كون وبرنامج بحث امبري لاكاتوس، مرجع سابق الذكر، ص 03.

لقد عمد كل من كارل بوبر وتوماس كون على مواجهة التفكير الوضعاني الجديد وبيان فراغاته وحدوده، لكن كون بدوره رفض أطروحات بوبر خصوص المتعلقة بالدحضية أو ما يمكن أن نسميه بالدحضائية واستبعد كون أن يكون التقدم العلمي خاضعاً لأساس عقلاني⁽¹⁾. ويعتبر توماس كون أحد أبرز المساهمين في استحضار الوعي بالتاريخ العلم في صلب فلسفة العلم بدأها بدراسة حول دور التاريخ التي جعلها مقدمة لكتابه المرجعي "بنية الثورات العلمية" يركز على فكرة أو ضرورة تنقادي النظر للتاريخ باعتباره مجرد سرد لأحداث متعاقبة وحينها سوف يحدث تاريخ العلم تغييراً جوهرياً في التصور السائد حول المسار الذي قطعه تطور العلم⁽²⁾.

كما أن توماس كون كان يسلم بكون العلم ماض في طريق التقدم المستمر، لكنه يتحدث عن خطأ الاعتقاد السائد بأن هذا التقدم يأخذ منحى تراكمي في مسار خطي كما هو موضح في أوجه المقارنة بين مسار التقدم المعرفي الاتصالي لكارل بوبر، ومسار التقدم المعرفي اللامقاييسي لكوهن، بحيث أن التقدم المعرفي لدى توماس كون بحسبه تصويره ينبني على براديمات لامقاييسية تتبنى البراديمات الجديدة بعض مكتسبات القديمة وفق مسار غير تراكمي وتجدر الإشارة فقط أن مصطلح الثورة يحمل جانبين مهمين في تفكير كون، أولاً يشير إلى الطبعة الحلقية للتقدم في تاريخ العلم حيث أن تبني باراديم جديد يكون نتيجة لثورة

(1) - حسن الحريري، مرجع سابق الذكر، ص10.

(2) - عادل زقاع، مرجع سابق الذكر، ص24.

علمية تدشن مرحلة جديدة من العلم القياسي هذه الأخيرة ينتهي بها المطاف إلى أزمة جديدة يليها حدوث ثورة تؤدي إلى تبني باراديم جديد وهكذا، ثانياً يجري كون تشبيها بين الثورة العلمية والثورة السياسية حيث يشبه الباراديم بالنظام السياسي القائم الذي يتولى معالجة المشاكل الاجتماعية والسياسية داخل المجتمع، فإذا ما ظهر نزاع سياسي لا يمكن حله في إطار ممارسات النظام السياسي القائم يتم استبدال هذا الأخير بنظام جديد بنفس الطريقة التي يتم فيها استبدال الباراديم القديم بباراديم جديد، إذا ما أثبت عجزه عن حل المشاكل التي تطرحها التحديات القائمة في العالم الإمبريقي⁽¹⁾ فعندما تحدث الأزمة المعرفية بظهور أعراض الإخفاق في الحصول على فهم متبصرة للواقع باستعمال أدوات دأب التقليد البحثي المهيمن على تزويدنا بها ، وعندما يصعب التخفيف من حدة هذه الأزمة عبر تنقيح الباراديم المهيمن، تحدث الثورة المعرفية ومفادها الانتقال إلى نموذج قياسي موجه والذي ينطوي عليه أيضاً التغير في النظرة إلى العالم القديم مما يجعلنا الحديث عن إمكانية مقارنة ما يزودنا به الباراديم الجديد والقديم غير متيسر، فكل منها يستعمل لغة وأدوات تحليلية متميزة وي طرح أحاجي علمية متميزة وهذه الوضعية يطلق عليها توماس كون اللامتقايسة⁽²⁾، لكن ما يصعب تفسيره هو طول مدة الفترة الانتقالية من باراديم لآخر فهل يعني ذلك تعايش باراديمي أم أن هذه المنظورات ليست مؤهلة لتحمل وصف النموذج القياسي الإرشادي وبالتالي فهي ربما أقرب إلى برنامج بحث لاكاتوسية حسب تصور البروفسور "عادل زقاغ" في أطروحته المعنونة "بالنقاش الرابع بين المقاربات النظرية في العلاقات الدولية".

(1) - محمد حمشي، مرجع سابق الذكر، ص 32-33.

(2) - عادل زقاغ، مرجع سابق الذكر، ص 30.

✓ البرامج البحثية اللاكاتوسية:

حاول لاكاتوس بادئ ببدء أن يحدد لتاريخ العلم بناءاته العقلانية واستخدام في ذلك قولاً مأثوراً لكانط "إن فلسفة العلم دون تاريخه خواء، وتاريخ العلم دون فلسفته عماء"⁽¹⁾، تعتبر أعمال لاكاتوس جزءاً من النقاش الذي جمع بين "كارل بوبر وتوماس كون"، حول تفسير التقدم العلمي في الوقت الذي حافظ فيه على الاقتداد بمنطق التراكمية عند "بوبر"، واصل لاكاتوس التعامل مع الوحدات ما وراء النظرية غير أن بدل تقدم هذه الوحدات على شكل "برامج بحثية" بانتقال منطق التقدم العلمي من تعاقب البردييمات إلى تعاقب "البرامج البحثية" لقد انتبه لاكاتوس على غرار كون إلى قصور التعامل مع النظريات بصورة منعزلة لأن الوحدة الوصفية لإنجازات العلم على حدث تحليله ليست النظرية بل هي "برنامج متكامل للبحث"⁽²⁾ تقدم منهجية "برامج البحث العلمي" عند لاكاتوس اقتراحاً بأن البحث حول فلسفة العلم يجب أن يكون مقترناً مع البحث عن تاريخ العلم حيث يوضح بقوله وفقاً لمنهجيتي فإن الإنجازات العلمية العظيمة تعتبر برامج بحث يمكن تقييمها وفق مصطلحات تحويل المشكلات المتطورة والمتحللة، والثورات العلمية تتكون من برنامج بحث يفوق برنامج بحث آخر، تسمح هذه المنهجية بإعادة بناء جديدة عقلاني للعلم، ويعتقد لاكاتوس أن أفضل انطلاقة نبدأ بها ليست "فرضية قابلة للتكذيب" بل هي "برنامج بحث"، إن مجرد التكذيب بحسب معنى بوبر لا ينبغي أن يدل على الرفض يجب تسجيل التكذيبات المجردة أي الحالات الشاذة لكن لا ينبغي العمل عليها، ولقد أراد لاكاتوس التأكيد على أنه ضمن برنامج البحث يمكن إلغاء نظرية ما من قبل نظرية أفضل، ومن أجل استبدال نظرية بأخرى أفضل منها فإن النظرية المستبدلة لا ينبغي اعتبارها مكذبة حسب بوبر وبالتالي فإن التقدم يشير لنسبة الزيادة المثبتة من الأمثلة أكثر ما هو من الأمثلة الزائفة وهنا يسمح التكذيب التجريبي والرفض الفعلي

(1)- The methodology of scientific research programmers, philosophy Cal paper w.val, edited by J-wowall and G. wnie Cambridge university press, 1995.

(2)- للاطلاع أكثر أنظر : يماني طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، الأصول، المصادر والآفاق المستقبلية، الكويت، عالم المعرفة، 2000، ص409.

مستقلاً⁽¹⁾. ولقد تأثر لاكاتوس في أعماله بفلسفة العلم سيما "نظريته في الميثودولوجيا" لكنه منحها فعالية وحركية تاريخية، غير أن أهم اسهاماته والتي تجسدت في مؤلفه "ميثودولوجيا برامج الأبحاث العلمية"، قد جاءت متأثرة بمفهوم "النماذج الإرشادية" لدى "توماس كون"، وكذا "الاستراتيجيات العقلية" عند ستيفن تولمن⁽²⁾ وإنما سبق وحللنا فإن الوحدات الوصفية للإنجازات العلم عند لاكاتوس على حد تعبيره ليست النظرية، بل برنامج متكامل للبحث، والانتقال لا يتم من نظرية لأخرى وإنما الانتقال يتم من برنامج بحثي انتكاسي " de générative " برنامج آخر تقدمي "Progressive"، حيث يتشكل برنامج البحث من سلسلة من النظريات المترابطة من خلال مجموعة من الفرضيات المشتركة لا تتأتى قدرة "البرنامج البحثي" على الصمود من خلال قابلية فروضه للتكذيب حسب ما ذهب إليه بوبر، ولكن عبر استمرار قابليتها للإثبات⁽³⁾ ويتشكل البرنامج البحثي اللاكاتوسي من نواه صلبة " hard core"، وهي عبارة عن افتراضات غير قابلة للتكذيب أو التنفيذ، وقدرة النواة الصلبة على الصمود في وجه التكذيب تأتي في كونها محاطة بحزام واق "Protective beet" وهي عبارة عن مجموعة القروض المساعدة التي تكون عرضة الاختبارات التجريبية، ومن ثم فهي عرضة للتكذيب التنفيذ، التعديل والاستبدال⁽⁴⁾ ويميز لاكاتوس وجود مجموعة من الموجات المساعدة على الكشف ويقسمها إلى موجات ايجابية وموجات سلبية، فتتشكل الموجات الايجابية في التصميم العام للبرنامج البحثي من خلال تحديد الموضوعات التي ينبغي التعامل معها والطرق التي ينبغي اعتمادها، بينما تشكل الموجات السلبية مصدر الفروض المساعدة المكونة للحزام الواقى لذلك فهي تحول دون تسرب نظريات لا علمية أو متناقضة

(1) - يسرى وجيه السعيد، ابستمولوجية امبري لاكاتوس، المنهجية في برامج البحث، ابن النديم للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2012، ص ص86، 87.

(2) - عادل زقاع، مرجع سابق الذكر، ص31.

(3) - يسرى وجيه السعيد، مرجع سابق الذكر، ص41.

(4) - Lakatos imre the methodology of scientific research programmers, edited by john Worrall and Gregory Currie philosophical popper val1, Cambridge university press, London, New York, 1978, P49.

مع الافتراضات الجوهرية ويغير فهم البناء والمنطقي للبرنامج البحثي ضروريا لإدراك الفرق الذي يقترحه لأكاتوس بين "البرامج الانتكاسية" و"البرامج التقدمية" التي تشكل جوهر تفسير للتقدم العلمي، فالبرنامج البحثي يبقى تقدما بقدر ما يكشف كل تعديل يحدث في "حزامه الوافي" عن تنبؤات جديدة، فإذا مازاد محيط الوقائع الشاذة التي يعجز عن تفسيرها مهما زودنا حزامه الوافي بفروض مساعدة جديدة فإنه يصبح برنامج انتكاسيا ومن ثم تبرز الحاجة إلى تغيير النواة الصلبة في حد ذاتها⁽¹⁾. والانتقال نحو برنامج بحثي آخر فإن التغيير في النواة الصلبة يؤدي إلى التغيير في البرنامج البحثي في حد ذاته، وبالتالي إنشاء برنامج بحثي جديد، ومن وجهة أخرى يمكن التمييز بين "البرامج الانتكاسية" و"البرامج التقدمية من خلال تحديد أي من نمطي التغيير يحصل داخل البرنامج هل هو تغيير "ضمن البرنامج" أم "بين البرامج" intra-inter-program، حيث يقتصر النمط الأول (ضمن) على عناصر الحزام الوافي بينما يمتد النمط الثاني (بين) إلى عناصر النواة الصلبة على أن النمط الأول يحدث بشكل أكثر تكراراً لأنه يعبر عن حالة التقدم بينما يندر أن يحدث الثاني لأنه يعبر عن حالة الانتكاس في البرنامج البحثي⁽²⁾.

✓ معيار نجاح برنامج البحث وفق مفهومي العلم الناضج وغير الناضج

لقد اعتبر لأكاتوس أن التميز بين العلم واللاعلم مع برنامج البحث الشرط الكافي لإمكان المعرفة العلمية ويركز على أن وجود برامج البحث يمثل معيار تعيين الحدود بين العلم الناضج المكتمل وغير الناضج، فالعلم المكتمل يتألف من برامج بحث يكون هناك توقع لا لحقائق جديدة وإنما توقع لنظريات مساعدة جديدة، وبذلك فالعلم المكتمل فيه قوة مساعدات الكشف⁽³⁾ ويهاجم لأكاتوس بشدة مزاعم كوهن المتعلقة بمعايير الحكم بين العلم ولاعلم التي تعكس فقط قسم مجتمع علمي معين في الوقت الذي تبقينا فيه بدون أي طريقة

(1)-يميني ظريف الخولي، مرجع سابق الذكر، ص ص412، 413.

(2)- محمد حمشي، مرجع سابق الذكر، ص34.

(3)- يسرى وحيد السعيد، مرجع سابق الذكر، ص ص50، 51.

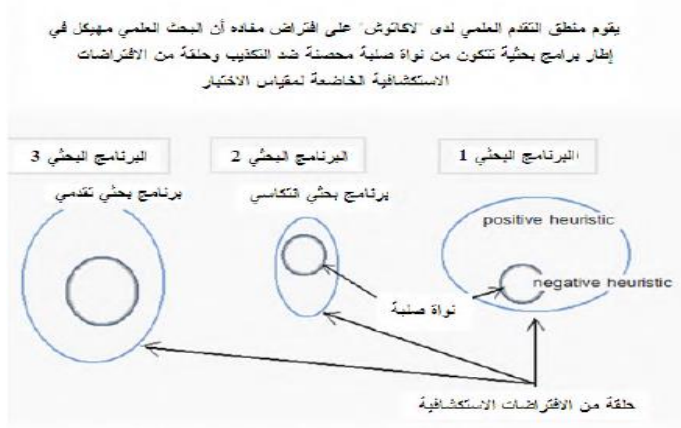
لانتقاء هذه المقاييس ويشدد لாகاتوس على أن "منهجية برامج البحث" هي الاستراتيجية الأنسب المتوافرة بين أيدينا من أجل مقارنة مثل هذه المعرفة، ويساهم أي برنامج بشكل أكثر نجاحاً في نمو العلم كلما كان أكثر تطوراً فالطبيعة المتقدمة للبرنامج تعتمد على درجة ترابطها وقدرها على إنتاج تكهنات جديدة⁽¹⁾.

لقد كانت نظرية برامج البحث العلمي التي قدمها لாகاتوس محاولة جادة لتجاوز الأخطاء التي ارتكبتها النظريات السابقة في تفسير تطور المعرفة العلمية، ابتداءً من المذهب الاستقرائي مروراً ببوبر وكون، ولقد تعرضت "منهجية لாகاتوس" للنقد مثلها مثل أي طرح فكري خاصة فيلسوف العلم المعاصر "إيان ماكينغ" يذكر إن ما يسميه لாகاتوس منهجية هي نظرة إلى الوراء، إنما نظرية من أجل تحديد خصائص الحالات الفعلية لنمو المعرفة والتميز بينها وبين المدعين إن لாகاتوس حسب ماكينغ يمضي بالعقلانية إلى مجالات بعيدة عن القبول الشائع، ولقد قدم باول فيربند نقداً لمنهجية لكاتوس معتمداً على ما طرحه لكاتوس نفسه مبينا الأهمية الكبرى للتاريخ في دراسة تلك المنهجية وحسبه بالرغم من التقدم الهائل الذي تم تحقيقه لا تزال منهجيته مليئة بالأخطاء ولم تتغلب على منافسها في كل النقاط، فالعناصر المطروحة صعبة التحديد فما هو الحزام الواقعي؟، ما هو المساعد؟، كيف تستخدم هذه العناصر في شرح ظاهرة ما؟. كما أن توماس نيكليس يوجه للكاتوس بقوله: "أكد لكاتوس أن التفكير المنهجي المبكر حاول بشكل مضطرب أن يزاوج بين منهجيات علمية غير متناسقة، والغريب أن لكاتوس قام بنفس الخطأ في متابعة بوبر"⁽²⁾.

(1) -يسرى وحيد السعيد، مرجع سابق الذكر، ص 51.

(2) - المرجع نفسه ، ص 52.

التمثيل البياني رقم 06 يوضح منطق التقدم العلمي لدى امبري لاکاتوس.



المصدر : عادل زقاغ ، مرجع سابق الذكر، ص33

✓ تيبولوجيا باول فيرابند ومنطق الفوضى المنهجية الخلاقة

يقر فيرابند في كتابه المعروف "ضد المنهج خطة لنظرية فوضوية في المعرفة"، والذي نشره للمرة الأولى عام 1975، باعتراؤه أنه ينوي الحديث عن نوع من الفوضوية المعرفية theoretical anarchisme، فالعلم ذاته في رأيه عمل فوضوي حيث يقول العلم أساسا عمل فوضوي، والفوضوية النظرية أكثر إنسانية من العلم ومن المرجح أنها تشجع التقدم أكثر من البدائل المنهجية المتمثلة في القانون والنظام ، وبذلك يمكن طرح سؤال جوهرى عن ماهي ملامح هذه الفوضى المنهجية التي يتحدث عنها فيرابند ويدعونا للأخذ بها؟. وهل هي حقا أفضل علاج ممكن لنظرية المعرفة؟⁽¹⁾ يستهل فيرابند فوضويته المنهجية بالهجوم على مناهج البحث التقليدية، يقر فيرابند أن العلم ليس له منهج خاص به يميزه عن أي نشاط فكري آخر حيث يقول في هذا الصدد أنه "تواجه فكرة وجود منهج علمي يتضمن مبادئ صارمة لا تتغير وملزمة إلزاماً مطلقاً صعوبات جمة عند مقارنتها بنتائج البحث التاريخي...إذ لا توجد قاعدة واحدة منها بدت ممكنة أو مستندة إلى أسس ابستمولوجية راسخة إلا وتم تجاوزها في وقت من الأوقات" ولا يرى فيرابند أن تجاوز أو مخالفة قواعد المنهج العلمي أمرا عرضيا أو يحدث في

(1)-بول فيرابند، ثلاث محاورات في المعرفة، ترجمة: محمد أحمد السيد، منشأة المعارف بالإسكندرية، (ب.ط)، (ب.س.ن)، ص ص12، 13.

حالات نادرة ولا هو نتيجة لنقص في معارفنا أو لأمر يمكن تداركه أو التغلب عليه بل، يرى على العكس أن هذا التجاوز ضروريا لتقدم العلم.

والسبب حسبه في عدم إمكان القول أو الأخذ بمنهج علمي محدد يعود في رأيه أن العلم ليس نشاطاً عقلانيا خالصا فالتقدم العلمي هو إزاحة لنظريات قائمة لتحل محلها نظريات جديدة⁽¹⁾.

من خلال فحصه لتاريخ التحولات الكبرى المشكلة لتاريخ العلم، لاحظ فيرلبند أن تلك التحولات لم تتأتى عن طريق منهج واحد، ولكن من خلال مناهج متعددة هذه الفرضية التي بنى عليها فيرلبند مقاربتة حول التعددية المنهجية التي تستند إلى مقولته المشهورة، "أي شيء يفى بالغرض" بمعنى أن أي منهج يعتبر مقبولا مادام ملائم لطبيعة المشكلة المطروحة للبحث وهو يرفض تنصيب السلطة المعرفية للعلم في حد ذاته والرفض الذي دعا إليه فيرلبند لا يستهدف نفي العلم، ولكن نفي الطبيعة السلطوية للعلم وهو اتجاه يكرس أكثر نسبية المنهج العلمي. وقد شكلت انتقادات فيرلبند للمزاعم الوضعية بالموضوعية وعقلانية العلم أساساً لدعوته اللاحقة لتعددية ابستمولوجية تسمح بالانعتاق من القيود المنهجية للابستمولوجيا الوضعية المهيمنة⁽²⁾، ومن القواعد المنهجية الأخرى التي يهاجمها فيرلبند التمييز التقليدي بين سياق الكشف وسياق التبرير، ولم يكن فيرلبند في واقع الأمر الوحيد من اعترض هذا التمييز الحاسم فمعظم الاتجاهات النسبية المعاصرة في فلسفة العلم لا تأخذ بهذا التمييز ومنهم "كون وشابير... "، ويعود اعترض فيرلبند في مقال كتبه عام 1961 بعنوان: " Know ledge without foundations oberlin college" يقول إن التمييز بين سياق الكشف وسياق التبرير غير حقيقي فالكشف لا يكون أبداً قفزة في الظلام أو حلماً، كما أن التبرير لا يكون أبداً اجراء موضوعيا تاما وهكذا يتضح أن فيرلبند أكثر راديكالية في نقده للعقلانية والمنهج

(1)-بول فيرلبند، مرجع سابق الذكر، ص13، 16.

(2)-يمني طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، مرجع سابق الذكر، ص422.

العلمي التقليدي من توماس كون، كما يشترك فيرابند مع كون بمبدأ اللاقياسية أي عدم إمكان المقارنة بين المعارف المتتابعة التي تنتمي إلى نماذج مختلفة⁽¹⁾.

فمراحل العلم المتتابعة تخاطب مشكلات مختلفة وقد لا تكون هناك مقاييس مشتركة لقياس نجاحها، وينتهي فيرابند في نقده لبوبر إلى القول بأن قواعد بوبر المنهجية لا تساهم في نمو المعرفة وإنما في واقع الأمر تعوق هذا النمو.

فبعد استعراض المحاورات الكبرى للتقدم المعرفي، نحاول أن ترصد أبحاث غاستون باشلار الذي هو بدوره ابتدع مصطلح "القطيعة الابستمولوجية" محاولة بذلك طرح صيغة معرفية مغايرة عبر طرح تساؤل جوهرى: ماهي معايير التكامل والتناقض في أبحاث كل من باشلار وكارل بوبر في طرح مبدأ التراكمية المعرفية ؟، وهل يعني ذلك التطابق المعرفي بين باشلار وكوهن في طرح مبدأ اللامقاييسية على أساس لكل علم منهجه وصيغته المعرفية الخاصة به ؟

المحاضرة رقم 03: القطيعة الابستمولوجية لدى غاستون باشلار:

تبدأ الأعمال الابستمولوجية لبشلار مع الباحثين اللذين تقدما بها لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، الأول بحث في المعرفة التجريبية ، والثاني دراسة في تطور مشكل في الفيزياء، الانتشار الحراري في الجوامد، أما في البحث الأول يبنى الفرق الفاصل بين الخطاب الفلسفي والخطاب العلمي، وفي عام 1929 أصدر كتاب "القيمة الاستقرائية لنظرية النسبية"، وقد أظهر باشلار خلال هذا المؤلف حرصه على تتبع التطورات العلمية الجديدة، ويتواصل العطاء الفكري لبشلار بكتاب "جدلية الزمن"، الذي يدحض فيه فكرة الديمومة والاتصال عند برغسون، إلا أن الحراك الفكري القوي يتأتى مع كتاب "تكوين الفكر العلمي"، وكتاب "التحليل النفسي للنار"، أما كتاب "فلسفة الل" الذي صدر عام 1940 كان بمثابة محاولة تأسيس للفكر العلمي الجديد.

(1) - باول فيرابند، ثلاث محاورات في المعرفة، مرجع سابق الذكر، ص ص18، 19.

1/ القطيعة الابستمولوجية الباشلارية:

القطيعة بالمعنى الباشلاري هي تعبير عن الفصل القاطع بين معرفة قديمة ومعرفة جديدة فهي المفهوم الذي يعبر في نظر باشلار عن فترات الانتقال الكيفي في تطور العلوم⁽¹⁾. وتعكس القطيعة الابستمولوجية بالمعنى الباشلاري انتقالاً نوعياً وطفرة فكرية سيكولوجية تعبر عن قطيعة فاصلة بين نمطين من التفكير، فكر علمي قديم وفكر علمي جديد، وتحديد صور القطيعة وأشكالها في العلم يدفعنا إلى استحضار قانون الحالات الثلاث للعقل والتطور الثلاثي الذي ينطلق من العقل ما قبل العلمي إن للعقل العلمي ثم يصل إلى العقل العلمي الجديد المرحلة الأولى هي مرحلة ما قبل الفكر العلمي، وتحقّب زمنياً من القدم حتى نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر، ونوع المعرفة السائدة كما يصفها باشلار معرفة زائفة ينبغي الفكر العلمي أن يتأسس ضدها⁽²⁾. والثانية: مرحلة الفكر العلمي، ويؤرخ لها زمنياً من القرن الثامن عشر إلى غاية بداية القرن العشرين، وسادت قديماً معرفة عقلانية كلاسيكية موضوعها فحص وتشخيص للمعطى الطبيعي بكشف قوانين الظواهر وعلاقتها الثابتة، أما الثالثة فهي مرحلة الفكر العلمي الجديد، والتي بدأت مع ظهور نظرية النسبية، أي بداية من سنة 1905⁽³⁾، وانطلاقاً من قانون الحالات الثلاث لباشلار. إذا كانت الهندسة الاقليدية، والفيزياء النيوتينية والكيميائية الفوازية والمنطق الأرسطي فكر علمياً تحكمه عقلانية كلاسيكية، فإن الهندسة اللاقليدية، أو الفيزياء اللانيوتينية والكيمياء اللافوازية والمنطق اللاأرسطي فكر علمي جديد تحكمه ميزة العلوم الجديدة أنها أشمل من العلوم السابقة باعتبار ما تنطوي على العلوم القديمة كحالات خاصة⁽⁴⁾.

(1) - محمد وقيدي، فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، الطبعة الثانية، 1984.

(2) - Formation de l'esprit scientifique.

(3) - La philosophie du non.

(4) - جمال بوغالم، الفكر العلمي الجديد بين القطيعة والتواصل، غاستون باشلار، وميشال سير نموذجين أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الفلسفة، جامعة وهران 02 كلية العلوم الاجتماعية، 2016-2017، ص 115.

يمكننا القول أن القطيعة بين الفكر العلمي والفكر العلمي الجديد لها مظاهر ثلاث، فهي تعني أولاً قيام فكر علمي أكثر شمولاً والقطيعة بهذا المعنى لا تعني الانفصال التام والنهائي بل يكون التجاوز والاحتواء، والأمثلة على ذلك عديدة فالهندسة اللاقليدية التي تعبر عن فكر هندسي أكثر شمولاً في مقابل الهندسة الاقليدية، والأمر يتطبق على الكتلة في الفيزياء.

ثانياً: القطيعة بمعنى مراجعة مفاهيم العلم الكلاسيكي التي كانت تبدو مبادئ أولية كالمراجعة التي قامت بها الرياضيات المعاصرة لمفهوم المكان والخط الذي لم يعد مستويا بأبعاد ثلاثة.

ثالثاً: القطيعة تعني انتقالاً إلى فكر علمي أكثر تفتحاً فنظرية الكوانتا مثلاً أعلنت قيام فكر علمي متفتح يقبل بالحقيقة والاحتمال معاً⁽¹⁾، ويرتبط القطيعة الابستمولوجية عند "غاستون باشلار" بتصوره لتاريخ العلوم فهو يطرح تفسيراً غير ارتقائي لبيان تطور العلم حيث أن التطورات السابقة لا تفسر بالضرورة الحالة الراهنة للعلم⁽²⁾ وهو يعارض بشدة طرح الاستمرارية لتاريخ العلم وارتبط كذلك مفهوم القطيعة بالطفرة التي أحدثتها التطورات العلمية المعاصرة، فالقطيعة في ابستمولوجيا باشلار، هي مفهوم يعبر عن فترات الانتقال الكيفي في تطور العلوم ومنه تاريخ العلوم لابد أن ينظر إليه كتاريخ قفزات كيفية تتمغض عنها نظريات جديدة ويحدد باشلار القطيعة الابستمولوجية صفة التجدد بمعنى أنها فعل متجدد باستمرار ولا وجود لقطيعة ابستمولوجية حاسمة ونهائية وهذا التمييز يدفعنا إلى القول بأن القطيعة الابستمولوجية بالمفهوم الباشلاري تتم على مستويين، قطيعة بين المعرفة العامة والمعرفة

(1)-جمال بوغالم، مرجع سابق الذكر، ص 115.

(2)- المرجع نفسه، ص 117.

العلمية، وأخرى تتم داخل الفكر العلمي ذاته أي بين الأنساق والنظريات العلمية أو بين الفكر العلمي الجديد والفكر العلمي⁽¹⁾.

1/ القطيعة الابستمولوجية بين المعرفة العامة والمعرفة العلمية:

تتخذ القطيعة في المستوى الأول بشكل الانفصال العام بين العلم كعلم وبين كل مسبقات الفكر الطبيعية ويعتبر هذا الموقف كرد فعل نقدي ضد النظرية الاستمرارية في العلم كما سطرها ما يرسون على الخصوص الذي شدد أن هناك استمرار من الفكر العامي إلى الفكر العلمي؛ هذا الموقف يرفضه باشلار لأنه لا يتطابق مع واقع العلم المعاصر، باعتقاده بأن التقدم العلمي يفصح دوماً عن انفصال بل عن انفصالات دائمة متجددة بين المعرفة المشتركة والمعرفة العلمية⁽²⁾.

2/ القطيعة بين الفكر العلمي والفكر العلمي الجديد:

أما المستوى الثاني للقطيعة فيكون بين فرضيتين علميتين، وهي قطيعة لا تصل إلى حد الانفصال التام والكلي لأن الفرضية العلمية الجديدة تدحض وتنفذ الفرضية العلمية السابقة وتثور قيم جديدة على القيم السابقة، فالمعرفة الجديدة لم تأتي إضافة معرفية تراكمية إلى المعرفة القديمة، بل بقطيعة معرفية حولت القديم الذي كان عاما إلى حالة خاصة تتكامل مع الحالة الجديدة ويصبح العلم الجديد يتضمن العلم السابق عنه لأنه أوسع وأشمل⁽³⁾.

كما أن باشلار يزاوج بين العقلانية والتجريبية مع تركيزه على تغليب العقل عن التجربة ومن العقلانية إن الاختبار، ويستدل باشلار على هذه بفلسفة الفيزياء المعاصرة وما حققته من نجاح نتيجة استخدامها للرياضيات.

(1) - جمال بوفالاح، مرجع سابق الذكر، ص118.

(2) - Bachelard Guston, matérialisme Rationnel P.U.F Paris, 1963, P210.

(3) - ibed, P211.

✓ العائق الابستمولوجي عند غاستون باشلار:

إن فهم القطيعة الابستمولوجية فهما معرفيا يستوجب التطرق إلى العقلية الابستمولوجية Epistemological obstacle في فكر باشلار باعتباره مفهوما جوهريا كان وراء ظهور مفهوم القطيعة لديه حيث يرى باشلار أن عند البحث عن الشروط النفسانية لتقدم العلم سرعان ما نتوصل إلى هذا الاقناع بأنه ينبغي طرح مسألة المعرفة العلمية بعبارات العقبات، وأن المطلوب ليس اعتبار عقبات خارجية مثل تركيب الظواهر وزوالها ولا إدانة ضعف الحواس والعقل البشري، ففي صميم فعل المعرفة بالذات تظهر التباطؤات والاضطرابات، إن تجاوز العقبات الخارجية خارج النسق الابستمولوجي لا تمكننا حسبه في أحداث تقدم علمي ولا يكون هذا التقدم إلا من خلال تجاوز الفكر للعقبات المتواجدة في صميم المعرفة العلمية في حد ذاتها⁽¹⁾، ويحدد باشلار في كتابه "تكوين العقل العلمي"، مجموعة من العوائق الابستمولوجية التي يرى بأنها تحول والتقدم العلمي".

1/ عائق التجربة الأولى:

المعرفة العامة تعتمد على التجربة الحسية فإن الواقع المباشر لا يقود بها معرفة علمية والموضوع المباشر الذي تقدمه الحواس يلغي دور العقل في التفكير والنقد، وتتمثل أطروحة باشلار في القضاء على مقاومة أغراء الصور الحسية في الفكر القبل علمي فحسبه أن التجربة الحسية عائق ابستمولوجي من الصعب إخضاعه للتحليل النفسي وتطغوا عليها الآراء الذاتية⁽²⁾.

(1) - خير الدين دعيس، ومحمد أمين دعيس، القطيعة وقابلية التكذيب، مقارنة في ابستمولوجيا باشلار وبوبر، مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة، العدد الثالث، جوان 2017، ص285.

(2) - رافد قاسم هاشم، ابستمولوجيا المعرفة عند غاستون باشلار، ص208.

2/ عائق المعرفة العامة:

تتعلق هذه العقبة بالحقائق الكبرى الموضوعية في أسس كل علم وبفعل مبدأ التصميم تفقد هذه الحقائق دقتها نقدياً وهنا يضرب باشلار مثال حول الحقيقة الفيزيائية المحددة لنقل الأجسام من خلال القانون العام لسقوط الأجسام الثقيلة⁽¹⁾.

غير أن تجربة سقوط الأجسام في الفراغ خلصت إلى قانون مفاده في الفراغ تسقط جميع الأجسام بنفس السرعة ولا أهمية لمفهوم الثقل هنا الذي اعتبر كمحدد للقانون العام لسقوط الأجسام الثقيلة والذي كان كحقيقة كبرى في الفيزياء.

3/ العائق اللفظي:

الفكر قبلعلمي لا يميز بين المفهوم واللفظ ولا يميز بين الكلمة التي تصلح للتفكير، ونفس اللفظ يصف الظاهرة ويشرحها وبالتالي تعتبر العادات اللفظية عوائق ابستمولوجية على الفكر العلمي تجاوزها.

4/ عائق المعرفة الموحدة النفعية:

الفكر قبلعلمي فكر موحد فجميع الموضوعات تفسر بالاعتماد على النظام الوحيد الذي يحكم الطبيعة وجميع التجارب تؤكد هذا النظام، وبالتالي أهملت التجارب التي تناقضه و مثل هذا التفكير الحاق تقدم الفكر العلمي.

5/ العائق الاحيائي البيولوجي:

في الحديث عن العائق الاحيائي اكتفى باشلار بالحديث عن الظواهر الاحيائية التي كذبتها المعرفة العلمية، وتتشكل الطبيعة من ثلاث عوالم الحيوان والنبات والجماد احتلت مملكتي الحيوان والنبات مكانة أرفع من المادة الجامدة، فالمادة الحسية في المعرفة الساذجة

(1) - خير الدين دعيس، ومحمد أمين دعيس، مرجع سابق الذكر، ص 285.

أبسط وأوضح من المادة الجامدة، وهذه النظرة ناقضها الفكر العلمي المعاصر ففي البيولوجيا يواجه الباحث عوائق ابستمولوجية أكثر من التي يواجهها دارس المادة الجامدة.

6/ العائق الجوهراني:

الموضوع في الفكر القبلعلمي جوهر ثابت لا يتغير تعمل عليه الصفات الأساسية والثانوية، وتعد الخصائص الأساسية قوائم الجواهر مهما تغيرت الأعراض مثل هذا التفكير تؤكد التجارب المباشرة لذا فإن الجواهر كنموذج تفسيري عائق متعددة الأوجه تقف حائلاً أمام الثقافة العلمية ولفظ عمق الجواهر من منظور ابستمولوجي معاصر لا يعبر عن العمق فعلاً بل العكس هو الصحيح فالمعرفة العامة سطحية⁽¹⁾.

كما أشار باشلار إلى فلسفة اللا أو فلسفة النفي، وهي الفلسفة التي تقول لا لعلم الأمس ولا للطرق المعتادة في التفكير ولا تأخذ الأفكار البسيطة على أنها أفكار بسيطة فعلاً يجب التسليم بها من دون مناقشة، بل إنها تجتهد في نقد هذه البسائط نقداً جلياً لتكشف عما تنطوي عليه من غموض لكن ذلك كله لا يعني أنها فلسفة سلبية يقول باشلار "الواقع أنه يجب أن نبينه دوماً إلى أن فلسفة النفي ليس من الناحية السيكلوجية نزعة سلبية ولا هي تقود إلى تبني العدمية أزاء الطبيعة فهي بالعكس من ذلك فلسفة بناءة سواء تعلق الأمر بنا نحن أو بما هو خارج عنا؛ إن التفكير في الموضوعات الواقعية معناه الاستفادة مما يكتنفها من لبس وغموض قصد تعديل الفكر واغناءه...، وإحياء جميع المتغيرات المهمة التي كان العلم والفكر الساذج قد أهملها في الدراسة الأولى، وبذلك فلسفة النفي ترفض كل تصور علمي يعتبر نفسه كاملاً نهائياً"⁽²⁾.

وبذلك يمكن القول أن الابستمولوجيا الباشلارية أرادت تكوين عقل علمي جديد قائم على قيم الثقافة العلمية المتجددة باستمرار تنقض به العقل التقليدي، لكن هذا التحليل كان

(1) - رافد قاسم هاشم، ابستمولوجيا المعرفة عند غاستون باشلار، مرجع سابق الذكر، ص 210.

(2) - المرجع نفسه، ص 211.

مرده من طرف "ميشال سير" في تأسيس وتحديد معالم مشروعه الابستمولوجي المرسوم بـ "العقل العلمي الجديد المتجدد"، والذي يقوم على فلسفة التواصل لا للقطيعة بالسعي لإقامة جسور للتواصل بين العلوم والمعارف على اختلافها فكل العلوم مهما كان نوعها لابد أن تجد نقاط التماس مع العلوم الأخرى في صورة ترابط شبكي ضمن فضاء معرفي يسميه "ميشال سي"ر "أنسيكلو بيدا" العلوم أو "موسوعة المعارف"، فلسفة التواصل السيرية تتحدث عن التفاعل والتداخل بين العلوم والجهويات أو التفاعل بين النظريات ثم التفاعل والتواصل بين المواضيع والأدوات العارفة⁽¹⁾.

بعد تحليلنا للقطيعة الابستمولوجية الباشلارية نرى انها تناقض مسار التراكمية المعرفية البوبرية ، وتتطابق في نقطة جوهرية وهو مبدا اللامقايضة التي طرحها كوهن في بنية النموذج المعرفي باعتبار أن هناك قطيعة بين كل علم أو نظرية على حدا ، وبعد طرحنا لهذه التحولات المعرفية الكبرى الهامة في مجال التقدم المعرفي ، نحاول ان نسقط هذه التحولات على مسار تطور حقل علم السياسة عبر طرح التساؤل التالي : هل مسار تطور حقل علم السياسة يسير وفق التراكمية المعرفية البوبرية أو مسار القطيعة الابستمولوجية الباشلارية ؟

محاضرة رقم 4 :ارساء معالم مسار تطور حقل علم السياسة بين التراكمية المعرفية

البوبرية والقطيعة الابستمولوجية الباشلارية

1/ نحو مؤسسة علم السياسة كحقل معرفي مستقل:

يعود الفضل في ارساء علم السياسة كعقل معرفي مستقل أو كتخصص أكاديمي يحظى بالاهتمام إلى سنة 1903 عندما تم تأسيس "الجمعية الأمريكية لعلم السياسة"، حيث ساهم ذلك في اعطاء هوية للحقل ،ولكن سبقها ذلك فتح أول قسم للعلوم السياسية "بجامعة كولومبيا بنيويورك" وتعين أول أستاذ في العلوم السياسية والتاريخ "فرانسييس ليبير" سنة 1857، وقد مر مسار تطور هذا التخصص عبر خمس مراحل كبرى تميزت كل واحدة منها بسعي

(1) - جمال بوغالم، مرجع سابق الذكر، ص142.

إحدى التوجهات المعرفية المهيمنة عليه، مرحلة سيادة "النزعة الدولانية" "المتمحورة حول الدولة وجعلها مرجعية للتحليل"، وهي النزعة التي رافقت مسيرة هذا الحقل خلال بواكير سعيه لاكتساب الهيمنة، ثم مرحلة سيادة "النزعة التعددية" وقد برز هذا التوجه مع نهاية العقد الثاني وبداية العقد الثالث من القرن العشرين مطالباً باهتمام التحاليل السياسية بفواعل آخرين غير الدولة، ثم مرحلة سيادة "النزعة السلوكية" والتي ظهرت في منتصف القرن العشرين، ثم مرحلة الاتجاه نحو ارساء علم سياسة جديد، وذلك خلال نهاية الستينات وبداية التسعينات التيار المعروف حديثاً ببروسترايكا علم السياسة تزامن ظهوره مع بدايات القرن الحادي والعشرين، كما يوضح التمثيل البياني أهم محطات تطور علم السياسة من منظور التحولات البرادايمية (1).

1/ النزعة الدولانية التوجه في ارساء حقل علم السياسة:

يمكن القول أن أنه من بين الحركات الأربعة التي قامت على منطق الثورة العلمية لدى توماس كوهن لم تنجح سوى الحركتان الأولى والثالثة ذلك أن حقل علم السياسة أظهر مقاومة شديدة للتغير (2). وما تجدر الإشارة إلى أن سر نجاح الدولانية والسلوكية يكمن في أن ثورتها لم تواجه أي مقاومة من داخل هذا الحقل المعرفي، وتجدر الإشارة أنه هيمن تصور الدولة على الخطاب السياسي الأمريكي مع نهاية القرن التاسع عشر وساهم في اكساب الدولة هذا الوزن، وتجدر الإشارة هنا إلى تصور الدولة وجعله محور للنقاش ليس بالشيء الجديد كلياً، حيث سبق لما اصطلح على تسمية بالنقاشات الدستورية بين الفدراليين أن أولت عناية كبيرة بها، وهكذا تمحور الخطاب العلمي لهذا الحقل المعرفي على الدولة بدءاً من "فرانسيس ليبير" والذي عين كأول أستاذ لعلم السياسة بجامعة "كولومبيا الأمريكية" عام 1857، وصولاً إلى

(1) - عادل زقاغ، مرجع سابق الذكر، ص 40.

(2) - جون س درزيك، الثورات المعرفية والتحوليات الرئيسية في علم السياسة ترجمة: عادل زقاغ، 23 مارس 2010، نقلاً عن: bohothe.blogspot.com، تم تصفح الموقع يوم: 2019/08/16.

"وودرو ويلسون"⁽¹⁾ خلال هذه الفقرة كانت المهمة الرئيسية لعلم السياسة إرساء دولة قومية موحدة ومواطنة فاضلة، ولم يكن ويلسن وحيدا في تصويره لنظام سياسي تطوره أحزاب سياسية منضبطة تقترح سياسات عقلانية معدة بعناية لناخبين لديهم الدراية الكافية وعلى ضوء نتائج الانتخابات، يقوم الكونغرس بإقرار السياسات التي تمت تركيتها لتعكف على تنفيذها بيروقراطية تتمتع بالخبرة وتطبق أفضل ما جاء به علم الادارة⁽²⁾، وقد صاحبت هذه الدعوة للفضيلة دراسات امبريقية عدة دأبت على تحليل المؤسسات الأمريكية وكشف مختلف مظاهر الشرخ والجهوية والمحسوبية، وقد جسد مؤلف "ويلسن" المعنون بـ "الحكومة البرلمانية" سنة 1885 هذا النوع من الدراسات، بد أن مهمة علم السياسة طيلة نصف قرن انحصرت في السعي من أجل إقامة دولة قومية موحدة، وفي هذا الاتجاه أشار فرانك قودناو في معرض حديثه أمام "الجمعية الأمريكية لعلم السياسة" حول دور علم السياسة في تحقيق إرادة الدولة في محاربة كل أشكال ومظاهر الفساد⁽³⁾.

وهي المظاهر التي سعت النزعة الدولاتية إلى محاصرتها، مثلما عملت على اصلاح النظام الماديسوني نسبة إلى "توماس ماديسون"، كما أن بعض الباحثين في الاتجاه الدولاتي الذي يقدر الدولة على معارضة الطابع الفدرالي للدولة بدعوى جعل الولايات المتحدة الأمريكية أكثر توحداً وبذلك يتضح أن الحقل المعرفي الناشئ باسم علم السياسة لم يكن هدفه تقديم إطار تحليل لدراسة الظاهرة السياسية بل تجسيد أجندة سياسية أيضا فالدولاتية باعتبارها الاتجاه الفكري الذي أسس علم السياسة لم تعمل على تغيير واقع الحال في هذا الحقل المعرفي، بل إلى ارساء دعائمه في المقام الأول، لكن رفضها السماح للمحللين السياسيين الهواة غير المنضبطين منهجيا والمؤطرين أكاديميا بمشاركتهم الحقل المعرفي أمهلهم ليكونوا حركة ثورية معرفية، وفعلا فقد تجمع الاتجاه الذي يشمل هواة التحليل

(1)- Johns Dryzek, Revolutions without en enemies : Key transformation in political science, American political science, Review, 2006, P487.

(2)- Ibid, P487.

(3)- ibid, P488.

السياسي في إطار "الجمعية الأمريكية للعلوم الاجتماعية" والتي أسست سنة 1885 لكن هذه أحييت للتقاعد مع تأسيس "الجمعية الأمريكية لعلم السياسة" سنة 1903 و"الجمعية السوسيولوجية الأمريكية" سنة 1905⁽¹⁾.

فعلى الرغم من أن أصحاب النزعة الدولاتية كانت لديهم مآخذ على الجانب المنهجي لأعمال من يصفونهم بـ التعدديين المنادين بتعدد الفواعل المشاركة في صناعة القرار السياسي، فإن طلائع الثورة المرسومة بـ التعددية الذين طالما وصف أتباعها بـ الهواة في مقابل الدولاتية الذين أضفوا الطابع الانضباطي على الحقل، إلا أن منهجية البحث لدى هؤلاء جميعا لم تكن تخضع لقواعد يمكن تقفي أثرها أو مراجعتها لأنها كانت تنطوي على التجميع الفوضوي للمعطيات وتقديمها بطريقة وصفية بحثه⁽²⁾.

ولم يتعرض هذا الاتجاه المعرفي الدولاتي للمقاومة من داخل الحقل المعرفي لأن الذين جاء على أنقاضهم ظلوا خارج الحدود التي رسمت لهذا العلم الناشئ، ورغم أن الدولتين يقرون بالتعدد إلا أنهم يطلقون عليه وصف (التجزئة) بل ويعتبرونه مشكلة يتعين حلها لا وضعية ينبغي تسمينها، كما أن البحث وتحليل الظواهر السياسية كان مفتوحا للجميع لاسيما القادمين من حقول معرفية أخرى مجاورة لحقل علم السياسة وساهم في إبطاء تطور هذا الحقل المعرفي لغياب منهجية واضحة كما أنه لم يكن من السهل التمييز بين النوازع الذاتية وأولويات البحث، والبحث عن حقيقة عمل المؤسسات الدستورية وهو مشكل ظل قائماً لها إلى أن تم ظهور أول تحدي باراديمي أنطولوجي للدولتين يتمثل في النزعة التعددية⁽³⁾.

(1)- Op.cit, P488.

(2)- عادل زقاع، النقاش الرابع بين المقاربات النظرية للعلاقات الدولية، مرجع سابق الذكر، ص44.

(3)- المرجع نفسه، ص45.

2/ أول تحدي أنطولوجي في حقل علم السياسية التعددين في مقابل الدولتين:

خلافًا لما قد يعتقد البعض، فإن ازدياد قوة التحدي المعرفي الذي واجهته ذوي النزعة الدولاتية لم يكن مصدره باحثين من خارج البردايم بل من داخله "فبقهون وولسن" كانا أول من انتبه إلى أنه وخلف المؤسسات الرسمية للدولة كانا هناك مؤسسات غير رسمية فاعلة وتمارس ضغطاً معتبراً على عملية صنع القرار⁽¹⁾ وكما سبق وحللنا أن الدولتين يرون في التعدد مشكلة يتعين حلها وليس وضعية ينبغي تهمينها، هذه هي الحقيقة التي يشير إليها مؤلف الأستاذ آرثر بنتلي المعنون بـ عملية الحكم The process of government وفي كتابه أصدره لاحقاً المعنون بـ "صانعوا القرار: المعنيون بالقرار والمتحكمون في اللعبة السياسية"، عبر بنتلي عن إدانته لهيمنة مجموعات المصالح على السياسة الأمريكية، ولكن مع أن نظام الدولة المركبة قد تعرض للنزيف مع قدراته للتحكم في العديد من الأجهزة⁽²⁾.

غير أن التعددية المعيارية أضحت تحتل حيزاً متزايداً مع ظهور مؤلفات "هارولد لاسكي" 1917، و"ماري بيركت فيوليت" 1918، كان كلاهما متأثرين بفلسفة "وليم جيمس" التي شددت على نبذ تحكم الدولة ومنحها حقاً حصرياً لإدارة شؤون الفرد ومن هنا يمكن استشفاف حقيقة أن مفهوم التعدد لدى ذوي النزعة التعددية لا يركز على تعدد المصالح بل على تعدد الوسائل، أما "فيوليت"، قد كانت من دعاة تنظيم المجتمع في جماعات من القاعدة باتجاه القمة، معارضة بتلك الهندسة الاجتماعية التي كانت تعتمد على الاتجاه العكسي من القمة باتجاه القاعدة، وقد طرحت فيوليت سؤالاً وجيهاً ما الذي يمكن عمله بالتعددية؟، لكنها تلقت رداً قوياً من الدولتين كل ما يجب العمل بالتعدد هو إزالته، أما مبررات "فيوليت" فهي غامضة وصعبة التطبيق إنما أن "قانييل Gunnel"، يرى خلافاً للباحثين آخرين أن صعود

(1) - عادل زقاغ، مرجع سابق الذكر، ص 46.

(2) - Johns dryzek, op.cit, P488.

النزعة التعددية في العشرينات يعتبر الثورة المعرفية الوحيدة التي شهدتها حقل علم السياسة في أمريكا⁽¹⁾.

لقد حاول درزيك فحص مدى ثورية الطرح التعددي فوجد أنه بالنسبة لبعض الباحثين يعتبر صعود هذا التيار بمثابة الثورة المعرفية الحقيقية "فجورج كاتلين" أحد المدافعين عن النزعة التعددية كان يرى أن التعدد يعود على اختلاف مصالح المجموعات المشكلة للنسيج الوطني لا على تعدد تجارب هذه المجموعات ووسائلها، وحسب "كاتلين" التمعن في أعمال كاتلين يساعدنا على استشفاف وجوه تقارب كبير بينه وبين الاتجاه الدولاتي، فالدولتيون أنفسهم كانوا يعترفون بالتعدد وهنا يتضح أن الشيء الثوري الوحيد لدى التعددية هو الشق المعياري لطرحهم وهذا لم يحظى بالقبول في علم السياسة إلا في خمسينيات القرن العشرين وحينها الصيغة المتينة للتعدد تركز على المصالح لاعلى تعدد القيم⁽²⁾.

* التحول البراديمي الأول: ذوي النزعة السلوكية في مقابل ذوي النزعة التعددية:

بعد قرابة نصف قرن من سيطرة الباردايم الدولاتي ومع اخفاق الباردايم التعددي في تحويل أجندة البحث في علم السياسة عن اهتماماتها الأنطولوجية مما أدى إلى ظهور ذوي النزعة السلوكية والتي ركزت على المستوى المنهجي وكانت بمثابة نقطة ضعف الرئيسية للبرديمات السابقة، وهي تندرج ضمن النقاش النظري الثاني في محاولة لتجاوز حالة الإفلاس المنهجي للواقعية التقليدية، ويعتبر النقاش الثاني حالة استقطاب بين أولئك الذين يعتقدون بإمكانية استخدام مناهج العلوم الطبيعة أو على الأقل المناهج التي تم توصيفها من قبل فلاسفة العلم الوضعيين في دراسة السياسة الدولية، في مقابل أولئك المتحفظين عن قابلية العالم الاجتماعي للدولة باستخدام المناهج الإمبريقية للعلوم الطبيعة⁽³⁾.

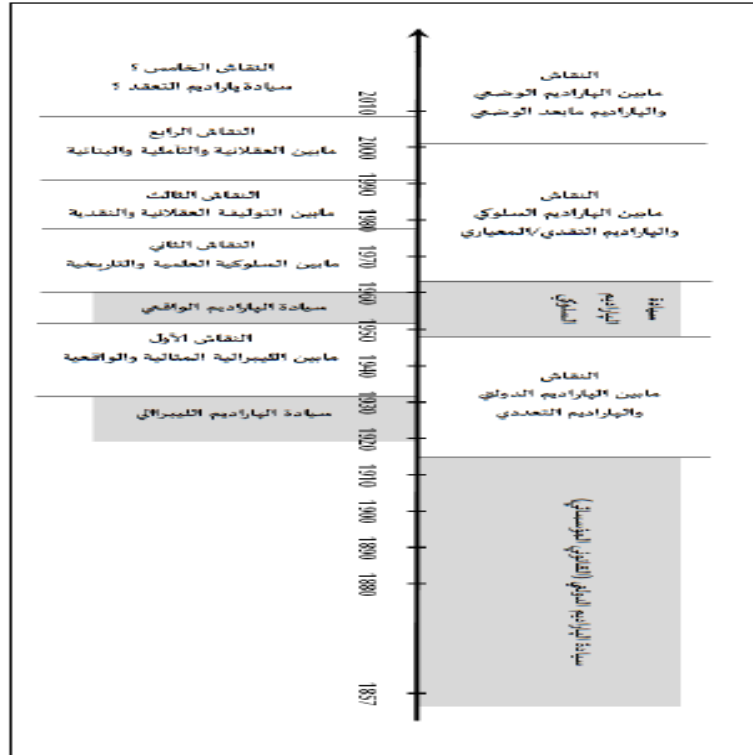
(1)- Johns dzyzek, op.cit, P488.

(2)- جون س درزيك، ، مرجع سابق الذكر .

(3)- عادل زقاغ، مرجع سابق الذكر، ص48.

كما يوضح الشكل البنائي التالي المقارنة بين النقاشات النظرية في حقل علم السياسة والعلاقات الدولية.

الشكل رقم 8 : يمثل مخطط بياني يوضح التقاطع بين النقاشات النظرية في حقل علم السياسة والعلاقات الدولية .



المصدر : محمد حمشي ، مرجع سابق الذكر ، ص 96.

وهي جاءت في منتصف الخمسينات من القرن العشرين كنقد ورفض للمناهج التقليدية معتمداً في تحليل الظواهر السياسية على المنهج الكمي في مجال الإحصاء وتقنيات الحاسوب، كما يؤكد "روبرت دال" أن السلوكية جاءت كرد فعل وعن رغبة أنصارها بناء نظريات سياسية علمية على أساس المنهج العلمي التجريبي، فعلى المستوى الفلسفي و ابستمولوجي، تبنت السلوكية عددا من الافتراضات العلمية فيما يتعلق بطبيعة العلم حيث رفضت التفريق بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، ورفضت للتحليل التاريخي لأنها تعتبر من غير المنطقي البحث في الماضي عن تفسيرات وروى وأفكار حول الشؤون السياسية عندما تكون الملاحظة الطريقة الأكثر اعتماداً للوصول إلى المعرفة.

لذلك تعتبر المناظرة التي جمعت بين التقليدية والسلوكية ويلخصها البعض إلى المناظرة بين المدخل التاريخي والمدخل العلمي، فالأول يبحث عن أنماط تقريبية تعتمد فاعليتها على الأنماط التاريخية في حين يعتقد الثاني بوجود قوانين عامة وكونية تحكم سلوك الدولة جميعاً الأول استنباطي يعتمد على البحث التاريخي والثاني استقرائي يعتمد على تجميع البيانات، حوار التقليدية والعلمية هو جزء من حوار أشمل وأقدم وهو يمثل وجهاً من أوجه كثيرة لما أسماه "توماس سوويل" صراع الرؤى بين إمكانية المعرفة المطلقة والمعرفة النسبية حيث تستند السلوكية إلى الابستمولوجية الوضعية والتي بموجبها تكتسب المعرفة من لا يمكن ملاحظته في العالم المحيط بنا، المدخل العلمي يفترض بأن المعرفة ممكنة من خلال البحث عن الانتظام في الأفعال⁽¹⁾. وتمثل المناظرة التي جمعت بين "ستانلي هوفمان" ممثلاً للمدخل التقليدي و"مورتن كابلان" ممثلاً للمدخل العلمي، ففي الوقت الذي يدعو فيه "هوفمان" إلى البحث التاريخي والتعميمات الاستنباطية، يرى "كابلان" باعتماد مناهج الاستقراء العقلاني لدراسة العلاقات الدولية، ويرى كابلان على مجموعة انتقادات التقليديين يمكن تلخيصها فيما يلي:

- فرأي التقليديين بأن غرض الإنسان يمكن أن يفهم بمناهج غير علمية رأي غير سليم.
- السلوكية لا تستثني الفلسفة من تحليلها، وهناك أسئلة فلسفية تهتم بها نظرية النظم وهي في الأصل فرع من المنهج العلمي السلوكي.
- إن المدخل العلمي مبني على فرضية أن العلاقات الدولية نشاط اجتماعي مثل أي النشاطات الأخرى، ويمكن تحليلها عن طريق تحليل سلوك المساهمين فيها⁽²⁾.

(1)- أنور محمد فرج، نظرية الواقعية العلاقات الدولية، دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، الطبعة الأولى، 2007، ص ص 149، 150.

(2)- المرجع نفسه، ص 150.

أما عن جذور وامتدادات هذه المقاربة النظرية تعتبر محاولة "جراهام ولاس" في كتابه "الطبيعة البشرية في السياسة"، الذي نشر عام 1908 محاولة بارزة للتركيز على أهمية الطبيعة والسلوك البشريين وسط سيادة الدراسات التي تركز على البعد المؤسسي والقانوني للسياسة، وفي نفس العام ظهر كتاب The process of Government للكاتب "آرثر بنتلي"، والذي يعتبر المؤلف الأهم في مجال الدراسات السياسية السلوكية، ويؤرخ البعض لبداية التيار السلوكي عام 1913 حين نشر العالم الأمريكي "جون واطسون" في مقالته "علم النفس كما يراه السلوكي"، أما على صعيد العمل المؤسسي فقد ظهرت "مدرسة شيكاغو" في العشرينيات من القرن العشرين، وبادرت "لجنة الأبحاث التابعة لـ"الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية" APSA، والتي كان يترأسها "تشارلز مريام"، إلى الدعوة لتأسيس "مجلس أبحاث العلوم الاجتماعية"، وقد كان "تشارلز مريام" من بين أهم المندفعين لتحويل علم السياسة إلى التركيز على دراسة سلوك البشر بدلاً من تحليل المؤسسات وأراء الفلاسفة، وفي الفترة السابقة للحرب العالمية الثانية قدم "هارولد لاسويل" في مؤلفه Power and personality محاولة لإضفاء نظرة سيكولوجية في مجال الدراسات السياسية⁽¹⁾، أما عن هدف ذوي النزعة السلوكية هو محاولة ايجاد صياغة منظمة متكاملة من المبادئ والافتراضات العلمية ومن ثم تهدف السلوكيين هو الوصول إلى صيغة علمية للعلوم السياسية مركز اهتمامه هو سلوك الشخص وليس النظام السياسي أو المؤسسة، ويستخدم المفاهيم السيكولوجية والذرائع الاختصاصية كوسائل تحليل⁽²⁾.

ويحدد "ايستون" الخصائص الإنتظامية لذوي النزعة السلوكية فيما يلي :

1) الانتظام: أي أن السلوك والنشاطات السياسية للأفراد والجماعات تسير على انتظام

من شاكلة الظواهر الطبيعية، ويمكن التعبير عنها بالتعميم والنظرية.

(1) - أنور محمد فرج، مرجع سابق الذكر، ص ص155، 156.

(2) - المرجع نفسه، ص ص157، 158.

(2) **الإثبات:** أي فحص تلك التعميمات والنظريات من حيث المبدأ بالاستناد إن السلوك الذي تتعلق به.

(3) **أساليب فنية:** وهي وسائل دقيقة لملاحظة وتسجيل النشاطات السياسية وتفسيرها مثل الاحصاء والرياضيات والحاسب الآلي.

(4) **التكميم والقياس:** لأنهما يسعيان بالبحث لجعله أكثر علمية واجتتاب الأحكام الذاتية، ويجب تكيفها مع الأغراض العلمية من البحث.

(5) **القيم:** أي تحديد القيم والفصل بينها وبين الأحداث وذلك للتمييز بين القضايا التي تتعلق بالتفسير الأخلاقي وتلك التي تتعلق بالتفسير الإمبريقي لتحقيق الموضوعية.

(6) **الاتساق:** أي ترابط أجزاء البحث وتجانسها، ولا بد أن تكون مبنية على نظرية.

(7) **العلم البحث:** يعني البحث عن المعرفة وكشف الحقائق لذاتها أولاً قبل توظيفها لوضع سياسات لحل مشكلات المجتمع.

(8) **التكامل:** أي تكامل البحث السياسي مع العلوم الاجتماعية الأخرى، لأن موضوعها واحد وهو الإنسان، لذا يجب التكامل بينها لتحقيق الفهم وتعميم التفسير⁽¹⁾.

وقد تبقت السلوكية التعددين في شقها المتعلق بالمصالح لا بالقيم، أي ذلك التعدد الذي يقبع تحت مظلة التوافق حول المنطلقات الأسس بين المصالح الاقتصادية المتعارضة، ومع فترة الستينيات ظهرت كتابات عديدة تشييد بانتصار السلوكية، وأعطى ذلك انطبعا بأن السلوكية ثورة تحصلت على رضا الأكاديميين، بنقل نجاحها في إعادة صياغة أجندا البحث⁽²⁾.

(1) - أنور محمد فرج، مرجع سابق الذكر، ص ص 156، 157.

(2) - Johns dzyzek, op.cit, P489.

لكن مع ذلك يحق لنا التساؤل، إذا كانت السلوكية ثورة معرفية فصد من أعلنت هذه الثورة؟، كان خطاب الثوريين يتحدث عن توجيه ثورتهم المعرفية ضد علم السياسية التقليدي الذي يعتمد المنهج التاريخي والمغالي في واقعه باستعارة وصف "دافيد ستون" لكن من هم الباحثون الذين وسمت أعمالهم بالتقليدية ذلك السؤال لم يجب عنه السلوكيين الذين ظلوا صامتين إزاء هوية خصومهم فكتاب Garceau 1953 يخلو من أية إشارة سلبية كانت أم ايجابية لهوية الخصوم (خصوم السلوكية)، لكن أعنف هجوم علمي ثوري على الوضع القائم في حقل علم السياسة كان قد شنه ايستون سنة 1953 من خلال كتابه المعنون "النظام السياسي"، وبعد ذلك بوقت طويل سنة 1984، أصدر استون مؤلف آخر يتحدث فيه عن علم السياسة التقليدي واعتبار أنه ساد خلال عشرينيات القرن العشرين وقال أنه بالغ في الاهتمام بالأحزاب وبمجموعات الضغط على حساب الدولة، وكنموذج للتأكيد على مزاعمه أشار إلى بنتلي 1908 و"بندلتون هيرجينغ" 1929 مغفلا حقيقة أن بنتلي اختفى من المشهد الأكاديمي سنة 1953 وقبل حدوث ذلك فإن بنتلي نفسه تحول إلى واحد من المهتمين للسلوكية أما "هيرجينغ" لم يعارض السلوكيين بل ساهم بشكل فاعل عام 1949 في تأسيس "لجنة السلوك السياسي" تحت مظلة "مجلس البحث في العلوم الاجتماعية، كما ركز" استون مآخذه مع التقليديين مثيرا خلطهم للحقائق والقيم واطنابهم في وصف الظواهر السياسية دون تقديم تفسيرات وافية⁽¹⁾، ولطالما السلوك والعلم والتعددية والنظام هي أهم سمات السلوكية، فإنه لا مبرر لاعتراض التقليديين عليها، ذلك أن البحوث التي تناولت السلوك على المستوى الفردي ذاع حينها خلال الثلاثينيات والأربعينات، وتزعما "هيرجينغ، فوزنيل، لازويل" والنزعة العلمية كانت قائمة حتى قبل مجيئ السلوكيين ومن بين التجاذبات كانت التعددية بمثابة واقع امبريقي أقرته النظرية المعلنة للتقليديين إذن ما الجديد الذي جاءت به السلوكية؟.

(1)- Op.cit, P489.

فحتى تصور النظام السياسي الذي جاء به ايستن قدم مصطلحات جديدة (مدخلات مخرجات، والارتداد الارتجاعي) لكنه لم يزودنا بنظرية جديدة شاملة لعلم السياسية، ما الذي جعل السلوكية ثورة إذن؟. الإجابة هي لأن السلوكية قامت بإحداث تغييرات جذرية في توجهات قائمة سلفا في حقل علم السياسة هذه المجالات المنتقاة هي السلوك، العلمية، التعددية، الوصف مقابل التفسير في الجوانب النظرية بدء بالسلوك حيث اعتمد السلوكيون على الدراسات المسحية التي تستند إلى مجتمع احصائي أوسع، كما عمد إلى زيادة بذرة الدراسات الكمية التي تصدرت صفحات الدوريات العلمية الرئيسية في التخصص لكن من وجهة أخرى فإن سيطرة السلوكيون على التخصص ساهم في تراجع الدراسات المخصصة لتحليل السياسة العامة للحكومة وبخلاف التحول في مجالات الاهتمام، فإن الجديد الذي حملته السلوكية كثورة تتمثل في إعادة صياغتها لتصور التعددية من تعددية (المنظومات القيمية) إلى تعددية المصالح لقد هيمنت السلوكية تدريجيا على التخصص لكن ذلك لم يجعلها بمنى عن الانتقادات التي تصاعدت حداثها مطلع الستينيات، ومصدر النقد لم يكن من التقليديين ذوي النزعة التاريخية بل من باحثين يطالبون بدور ايجابي لعلم السياسة وتوجيه اهتمام الباحثين نحو قضايا المجتمع وذلك بدعوي أن السلوكيين تورطوا من خلال ما أسموه بالحياد القيمي في تعزيز الوضع القائم في السياسة الأمريكية⁽¹⁾.

✓ التحدي الباردايمي الأول دعاء مؤتمر من أجل علم سياسة جديدة في مقابل

نوي النزعة السلوكية:

أثمرت الانتقادات إلى وجهها اليساريون للسلوكية ظهور ما يسمى "المؤتمر من أجل علم سياسة جديد"، والذي حاول تحديد ملامح المرحلة المقبلة في علم السياسة وإعادة توجيهه تم تنظيم المؤتمر سنة 1967 خلال الاجتماع السنوي لـ APSA وترعاه "بيتر باكراتش كريستيان بي، تيودور لوي، مايكل برينت، شيلدون وولين"، كما تضمنت القائمة أيضا وجهها

⁽¹⁾-Ibid , P489.

بارزا في تخصص العلاقات الدولية "هانس مورغانثو"، من بين المعارضين للحرب في الفيتنام، كان من بين أعضاء المؤتمر عدد من المنظرين السياسيين العازمين على جلب النقاشات والانتقادات حول الديمقراطية الليبرالية الأمريكية إلى قلب النقاشات الأكاديمية بعد أن كانت معزولة في محيط تخصص العلوم السياسية ،ولتسويق طرحهم عمد أعضاء هذا المؤتمر إلى تغطية ما يروونه جوانب قصور في الاتجاه السلوكي حيث توجهوا نحو الاهتمام بالقضايا الاجتماعية والأزمات السياسية لتلك الفترة، كما طالبوا بعلم السياسة يتخذ موقف موحداً من القضايا السياسية المثيرة للجدل مثل حرب الفيتنام، التمييز العنصري، والفقر إضافة إلى قضايا البيئة والمرأة ، ورغم أن المؤتمرين لم يجمعوا على رفض النزعة العلمية إنما أنهم رأوا بضرورة إعادة ترتيب الأولويات لتكون العلمية في المرتبة الثانية بعد الالتزام بقضايا المجتمع ومدى صلاحية نتائج الأبحاث لمعالجة هذه القضايا، وبرروا موقفهم بهذا

بكون مسألة تفسير السلوك السياسي لا تشكل حقيقة مركز الثقل المعرفي لعلم السياسية⁽¹⁾ وبذلك يبدوا واضحاً أن "المؤتمر من أجل علم سياسة جديد" مثله مثل الاتجاهات الثلاثة التي سبقته جمع بين الأهداف الفكرية والأهداف السياسية، ولو أن أهدافه السياسية كانت أوضع مقارنة بالسلوكيين⁽²⁾، سخر أعضاء المؤتمر جهودهم لمسعى اصلاح APSA وقدموا مرشحين لمنصب الرئيس ولعضوية مجلس الجمعية لكنهم أخفقوا في الحصول على الرئاسة رغم نجاحهم في الاستحواذ على بعض المقاعد في المجلس، وأخذت المقاومة من جانب السلوكيين تشتد لاسيما وسط APSA الذين يهيمنون عليها بشكل شبه كلي، ففي سنة 1968 قاموا بتجميد عمل كل لجان العمل التي دعا إلى تشكيلها أعضاء المؤتمر لكن "دافيد استن" عمل على تخفيف من حدة التوتر بين السلوكيين والمؤتمرين فخلال مداخلته له أمام APSA عام 1969 بصفته رئيساً للجمعية تحدث عن ثورة جديدة في علم السياسة بإمكانها أن تجعل التقنيات التي طورها السلوكيون ونظريته للنظام على حد سواء في خدمة المشكلات

(1)-Ibid, P490

(2)-Ibid, P491

المجتمعية، لم ينجح ايستون في ردم الهوة بين النزعتين إلا أنه نجح في إرساء تخصص ثانوي في علم السياسة وهو السياسات العامة، وبذلك فالمؤتمر بدلاً أن يتوجه نحو تشيد الروابط مع التيارات الاجتماعية والسياسية والتي تحمل ثقافة مناوئة له، فقد كرس جهوده على الصعيد المهني مما دعا لوي Lowi إلى تسمية بـ "المؤتمر من أجل جمعية جديدة لعلم السياسة" ومع إخفاقه في الحصول على رئاسة الجمعية فقد تراجع طموح أعضاء المؤتمر وأصبح تنظيمهم مجرد قسم عادي ضمن أقسام APSA، أما المجلة العلمية التي قام المؤتمر برعايتها "علم السياسة الجديد" فقد ظل انتشارها محدود، ولم يظهر اسمها ضمن ترتيب أبرز 115 دورية علمية في التخصص⁽¹⁾.

وبذلك فإن اخفاق ثورة المؤتمر من أجل علم سياسة جديد لم يكن اخفاقا كلياً بل يجب الإقرار بأن عدم نجاحهم لا يعني بالمقابل نجاح السلوكية هذه الأخيرة وإن استمرت إلا أنها فقدت هويتها خاصة بزعمها إمكان إرساء أسس علم محايد أو علم مجرد من القيم، وقدم عدة تنازلات بتبني دورية أكاديمية جديدة بعد ثورة المؤتمرين عام 1967 سميت "السياسة وعلم السياسة" وبذلك شكلت ضربة للمجلة الأمريكية لعلم السياسة⁽²⁾.

هذه الدورية الجديدة سنحت الفرصة لنشر ومعالجة مشكلات المجتمع والقضايا الملحة في السياسة العامة للدولة الداخلية والخارجية، فقد تأكدت قوة التيارات الداعية إلى إعادة النظر في واقع الحال في الحقل المعرفي لعلم السياسة عقب قيام مئات علماء السياسة الأمريكيين بتأييد معنوي الرسالة الإلكترونية التي صاغها وأرسلها مجهول سمي نفسه السيد بروسسترويكا يدعو فيها إلى إصلاح البيت الداخلي لعلم السياسة عبر ضمان انفتاح الحقل على التعددية المنهجية ورفع الوصاية التي فرضها الكميون عليه، وكعادتها عملت APSA على احتواء الثورة المنهجية الكيفية الصاعدة وذلك بإنشاء أقسام جديدة للبحث وكذلك عبر إنشاء دورية أكاديمية أخرى برعايتها هي منظورات في السياسة لنشر الأعمال العلمية لهؤلاء

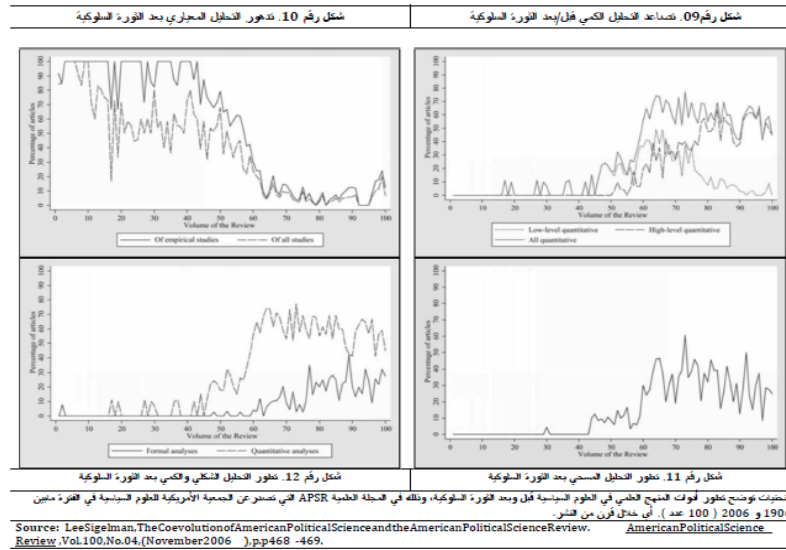
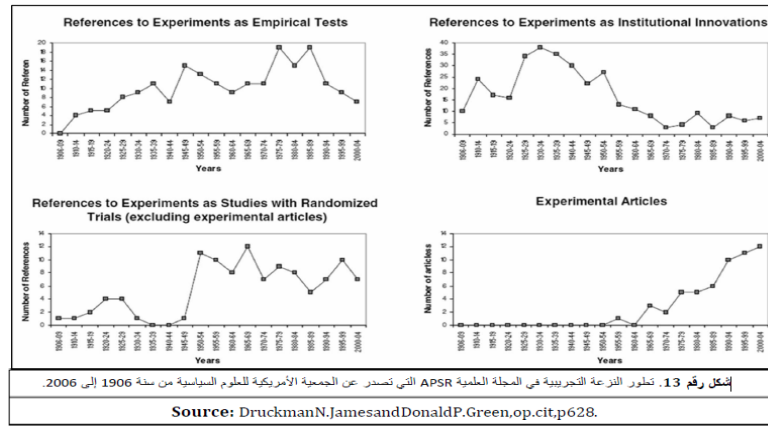
⁽¹⁾-Ibid., P491.

⁽²⁾- عادل زقاغ، النقاش الرابع بين المقاربات النظرية للعلاقات الدولية، مرجع سابق الذكر، ص ص56، 57.

الباحثين المنشقين عنها، كما توضح المنحنيات البيانية التالية تصاعد وتراجع الدراسات الكمية والإمبريقية لدعاة ذوي النزعة السلوكية وما بعد ذوي النزعة السلوكية.

الشكل رقم 10: يوضح منحنى بياني لتصاعد وانتكاف التحليل الكمي لذوي النزعة السلوكية

ومابعد السلوكية



وبالرغم من ذلك يمكن القول أن هذا التيار تمكن من إرساء تقليد بحثي متميز عبر عديد من المؤتمرات التي نظمها والأدبيات التي تشكلت وفق النظرة الجديدة وعبر ايجاد فضاءات خاصة للتعبير على مواقع الأنترنت لكن عشر سنوات من إطلاقها لم تكن كفيلا بإحداث تغيير في المنظومة المعرفية التي تهيك البحث في العلوم السياسية فالدوريات ذاتها لا تزال تحتل الريادة من حيث الوثوق بها كأدبيات مرجعية تعتمد عليها كبرى الجامعات وأولويات النشر لم يطرأ عليها تغيير كبير منذ ذلك الوقت.

يمكن القول في نهاية هذه المحاضرة أن مسار تطور حقل علم السياسة عرف تحولات باراديمية جوهرية محاولة مؤسسة وشرعنة ضوابط منهجية وعلمية وحتى تقنية في محاولة لجسر الهوة بين الجانب النظري والتطبيقي ، لكن النقاشات النظرية ضمن مسار تطور حقل علم السياسة لم يعرف قطيعة ابستمولوجية وفق التصور الباشلاري ، ذلك أن كل باراداييم يجعل من الباراداييم التقليدي مركز انطلاق أفكاره البحثية ، وبذلك وسم الحقل بمبدأ لا مقايسة ضعيف وفق التصور الكوني " كوهن".

وبذلك هل يمكن تصور بناء نموذج معرفي في حقل علم السياسة وفق التصور الكوهني نسبة لكوهن؟، أم أن الحقل يعرف فقر بناء نظرية كبرى كغيره من الحقول الاجتماعية والانسانية الاخرى وبذلك يعرف الحقل مبدأ لامقايسة ضعيف ؟

المحاضرة رقم 05 بنية النموذج المعرفي لعلم السياسة وفق لمبدأ اللامقاييسية

الكوفي:

ربما هنا يحيلنا إلى الاجابة عن التساؤل التالي: هل يمكن مأسسة نموذج معرفي لحقل علم السياسة وفق الصرامة العلمية الكونية مع الاعتماد على مبدأ اللامقاييسية بين البرديات المؤسسة للحقل، أم أن حقل علم السياسة ينطوي على خاصة اللامقاييسية ضعيفة تمكن من تعايش براديمي داخل حقل علم السياسة؟. فعلى الرغم من اعتقاد توماس كون بعدم ملائمة النموذج المعرفي للعلوم الاجتماعية، لأنها تمر بمرحلة ما قبل النموذج المعرفي، فيرى الرافضون بوجود اختلافات واضحة في التطور النظري بين العلوم الاجتماعية ومن ضمنها حقل علم السياسة، ورؤية كون لتطور العلوم الطبيعية فلو طبقنا مفهوم اللامقاييسية بالنسبة للنماذج المختلفة يكون عديم الفائدة وأي محاولة للتركيب تكون مضیعة للوقت وفي نفس اتجاه الرفض يرى "شيلدون وولن" في دراسته Paradigm and political theories بأنه لم تحدث ثورة علمية ولا يوجد نموذج مهيم أو علم قياسي للسياسة ويؤكد "فيليب بيردسلي" في دراسة بعنوان Political science of missing Paradigm على أنه لا في الماضي ولا في الوقت الحاضر لم يتم تأسيس نموذج معرفي في مجال علم السياسة، ولكنه يعتقد بإمكانية اختراع علم سياسة كنموذج معرفي خاص في المستقبل⁽¹⁾.

في الجانب الآخر يرى المؤيدون بأن الغرض من اللجوء إلى مصطلح النموذج المعرفي هو ادخال بعض التنظيم إلى الحقل النظري للعلاقات الدولية حيث يرى "ميكائيل نيكلسون" إنه في الآونة الأخيرة أصبحت عرفا بين دوائر محدودة من الباحثين في مجال العلاقات الدولية الإشارة إلى الحوار ما بين النماذج ويتم بموجبه التعامل مع المداخل المختلفة في دراسة العلاقات الدولية لأنها نماذج معرفية مختلفة⁽²⁾.

(1) - أنور محمد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية، مرجع سابق الذكر، ص ص 133، 134.

(2) - المرجع نفسه، ص ص 134، 135.

تشير "منى أبو الفضل" إلى أن النموذج المعرفي هو هيكل الخطاب السائد من حيث النسق القيمي والادراكي الذي ينظم التفكير في حقل ما فيضع نطاق هذا الحقل وحدوده ويحدد مفاهيمه ورؤاه العالمية ومعتقداته وقيمه ونظريته يعني يشير إلى وجود اتفاق حول سمات الظاهرة الدولية وأبعادها الأساسية ويستخدم في العلاقات الدولية استناداً إلى معيارين أحدهما موضوعي ومحوره الافتراضيات الأساسية حول الطريقة التي يتهيكّل بها العالم، والآخر منهجى ومحوره أساليب إدارة البحث والتحليل⁽¹⁾ وبناءً على ذلك فإن تاريخ دراسة النظرية للعلاقات الدولية يمتلك أكثر من نموذج معرفي واحد، عبر مسيرة تقارب 75 عاماً، وتعاقبت على دراسة العلاقات الدولية عدة نماذج ساد كل منها في مرحلة من مراحل تطورها، وتبلورت الاختلافات بين هذه النماذج المتعاقبة في ثلاث أنواع من الجدل بين المثالية والواقعية والجدال بين التقليدية والسلوكية والجدال مع دعاة ذوي النزعة ما بعد السلوكية وبين الوضعيين وما بعد الوضعيين⁽²⁾. يمكن القول أن المفهوم الاصطلاحي للنموذج المعرفي في أحد تعريفاته على أنه نسق من العلم تم ادراكه بتفكير وتدبر، وبشكل متناسق ومؤتلف لغايات ووجهات محددة، ومن واقع هذا التعريف يمكن الوقوف على عدد من الأبعاد الأساسية التي يجب أن تتوفر حتى يمكن القول بوجود نموذج معرفي محدد في أي مجال من مجالات المعرفة الإنسانية، ومنها مجال حقل علم السياسة وهذا يستلزم منهجاً في عرضه والمنهج يعبر عنه من خلال المفاهيم فالنموذج المعرفي عملية ادراكية مقصودة قوامها الإمعان في التفكير⁽³⁾.

(1) - أنور محمد فرج، مرجع سابق الذكر، ص 139.

(2) - المرجع نفسه، ص 140.

(3) - عصام عبد الشافي، نمو نموذج معرفي في العلاقات الدولية، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية،

والتدبر سواء فيما هو مرتبط مباشرة بالقائم بهذه العملية العملية وهو الإنسان أو فيما هو خارجه من كون ووجود وهذه العملية مجالاً تنطلق منه، ومجالاً تتحرك فيه وكلاهما مهمان في تحديد مدى الإدراك ونطاقه وأدواته وغاياته ووجهاته.

2/ البنية: إن حصيلة هذه العملية الادراكية تأتي في شكل أو هيئة متناسقة، تربط بين مفردات ما تم ادراكه بحيث يظهر النموذج المعرفي متميزاً ومحدداً، أي أن بنية النموذج المعرفي لابد أن يتحقق فيها قدر من الاتساق والانسجام والتوازن والاعتماد المتبادل بين مكوناتها، بحيث لا يفهم أي من هذه المكونات، دون فهم موضعه من هذه البنية ونمط العلاقات بينه وبين بقية الأجزاء الأخرى.

3/ التكاملية: ففي النموذج المعرفي لا يقوم العقل وحده ولا ينهض كأداة للعملية الإدراكية وإنما تتساند معه الحواس الإنسانية وبذلك يتفاعل العقل والحواس كأداتين في بناء النموذج المعرفي وبقدر ما يكون تكامل وتفاعل بقدر ما يكون النظام علمياً مبنياً على حقائق وقوانين وافتراضات ونظريات.

4/ المفاهيم: تشكل المفاهيم داخل المنهج لبناء النموذج المعرفي وهي مفاتيح الحديث عنه، فالنموذج المعرفي يقوم على جوهر المعرفة وهذا يستلزم منهجاً في عرضه، والمنهج يعبر عنه من خلال المفاهيم، والمنهج يتبع من إطار مرجعي، والإطار المرجعي مستمد من مصادر تجسده، وبالتالي فإن لكل نموذج معرفي مفاهيمه ومنهجه وإطاره المرجعي ومصادره المعرفية. (1)

5/ الغائية: النموذج المعرفي غائي، والغايات ترتبط مباشرة بالمجال الذي تتحرك فيه، والحدود التي تفرض عليه، ونظام القيم الذي يحيط به ويتعايش معه، والمقاصد العامة للواقع الذي ظهر فيه أي أن العملية إدراكية حين يتأسس على إمعان الفكر والتدبر تهدف لتحقيق غايات محددة.

(1) - عصام عبد الشافي، مرجع سابق الذكر، ص 03.

وكما سبق وأشرنا أن كوهن يرفض إمكانية تطبيق النموذج المعرفي على العلوم الاجتماعية، إلا أنه ينظر البعض إلى المنظور الواقعي والمنظورات السلوكية وما بعد السلوكية باعتبارها نماذج معرفية، واتجه أنصار أو ذوي النزعة السلوكية إلى الجزم أنهم يمثلون العلم القياسي التجريبي، وفي هذا السياق يرى دافيد ترومان أنه منذ عام 1880 وفي منتصف القرن العشرين، كان هناك ما يمكن وصفه بالنموذج المعرفي في علم السياسة، ولكنه لم يكن محل الاتفاق والتبلور كما هو الحال في العلوم التجريبية، وذهب غابريال ألموند في تعاطيه مع قضية النموذج المعرفي إلى القول بأنه كانت هناك صياغة نظرية متجانسة في النظرية السياسية الأمريكية خلال القرنين 18 و19، وأن تطور علم السياسة المتخصص في الولايات المتحدة منذ بداية القرن العشرين، حتى الخمسينيات منه كان قائماً على نموذج معرفي واضح، لأن معظم التغيرات النظرية المهمة خلال هذه المرحلة أفرزت متغيرات تم التأكيد على قدرتها على الوصف والتفسير والتحليل⁽¹⁾ وفي الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين ظهر نموذج معرفي واضح محوره النظام السياسي وفي مقابل السلوكيين برزت مجموعة من الرافضين لوجود نموذج معرفي في علم السياسة ومن بين هؤلاء فيليب بير دلسي حيث يرى أنه ما أطلق عليه ألموند نموذجاً معرفياً في النصف الأول من القرن العشرين ليس إلا قوالب جامدة كانت سائدة آنذاك، وما اعتبره نموذج معرفي في الخمسينيات والستينيات لا يستجيب للخصائص التي حددها كون ولا يحقق أهدافه، ورفضه بنية النظام السياسي لألموند كونه يتصف بالغموض⁽²⁾.

فنتيجة لاختلاف وجهات النظر حول مساعيه، ولا يقدم تفسير للظواهر السياسية، ويخلص بيردلسي أنه رغم قبول أو رفض وجود نموذج معرفي في علم السياسة بالمعنى المتقدم لدى كون إلا أنه من خلال متابعته التطور التاريخي لعلم السياسة يمكن القول بوجود

(1) - نصر محمد عارض، ابستمولوجيا السياسة المقارنة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2002، ص ص 67، 68.

(2) - عصام عبد الشافي، نحو نموذج معرفي في العلاقات الدولية، مرجع سابق الذكر، ص ص 04، 05.

نماذج معرفية فيه، ولكن ليس بالضرورة تكون من حيث الدقة والصرامة والتوصيف للصورة التي نادى بها كون، وإنما بشكل يتلاءم مع علم السياسة في صورة من قطيعة معرفية وفق مفهوم النموذج المعرفي، ومستويات من التراكم والتداخل بخلاف مفهوم النموذج المعرفي⁽¹⁾.

المحاضرة رقم 06: علم السياسة والدخول في فخ عصر وسيط جديد

يعتبر هدلي بول أول من استخدم مصطلح "العصر الوسيط الجديد" أو القروسطية الجديدة في كتابه المعنون بـ المجتمع الأناركي" الصادر سنة 1977، وذلك لوصف حالة النخر الذي تتعرض له سيادة الدولة وانتشار مظاهر متعددة للعنف، لم يكن هذا القصور أن يخص بالترحيب حينها طالما أن الدولة الوستقالية كانت تبدو متماسكة في حال الحرب الباردة إلا أنه وبعد عشرين سنة من نشر كتاب بول أعادت "آن ماري سلوتر" إحياء النقاش حول الموضوع في سياق تراجع دور الدولة أمام تنامي أدوار فاعلين آخرين.

✓ العصر الوسيط الجديد، كبديل للتصور الليبرالي:

حسب الباحثة "سلوتر" لا تبدوا العلاقات الدولية نتاج تفاعل الدول وحسب بل محصلة خطوات يبادر بها فواعل آخرون يتموقعون ضمن حيز السلطة الاقليمية للدولة وأحيانا خارجها، وتضيف "سلوتر" أن البديل الوحيد لهذه الوضعية حيث تداخل الصلاحيات وتفرغ الدولة من محتواها وبالتالي شكل من أشكال الفوضى⁽²⁾.

فبالنسبة لـ "يورغ فريديكس" فإن طرح "العصر الوسيط الجدي" ليس الهدف منه استعراض أحجية جديدة على باحثي الحقل المعرفي أو رياضة فكرية، بل إنه تعبير دقيق جداً عن حالة من الارتباك الناجم عن تحولات عميقة في عالم واستقاليا الدولاتي المتمركز على أن اللجوء للعصور الوسطى له ما يبرره، فإن الهدف من تشبيه عالم ما بعد الحرب

(1)- عصام عبد الشافي، مرجع سابق الذكر ، ص 05.

(2)- عادل زقاغ، العصر الوسيط الجديد وتداعياته على النظرية والممارسات في العلاقات الدولية، مجلة الفهر، العدد السابع، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص ص160، 162.

الباردة، بعالم يتجه رأساً صوب "عصر وسيط جديد"، حسب "فريدريكس" هو السعي للتغلب على العصر التصوري الذي وقعنا ضحايا له بسبب العادات العقلية القوية التي أكسبتنا أيها الحدثاء⁽¹⁾ ويتسم هذا العصر الوسيط في المقام الأول ليس بتفكك العالم الواسطالي فحسب بل بتشظيه إلى أجزاء متناثرة ويتجلى ذلك في ثلاث مظاهر أساسية.

- إعادة صياغة الأقاليم ومجالات الاختصاص الاقليمي بالاعتماد على معايير متداخلة تجمع بين المكونات الاثنية، والثقافية والدينية...
- ظهور تحديات جدية للنظام دولاتي المتمركز والاحتكار الدولة للفاعلية في السياسة الدولية، هؤلاء الفواعل الجدد أصبحوا ينافسون الدولة في الاستحواذ على الشرعية، وبالتالي الولاء.
- أصبح النظام الواسطالي في الوقت الحالي في ذروة تطوره مليئاً بمظاهر ما قبل حداثية (التعصب القبلي، التطهير العرقي والمغلاة في التطرف الديني).

إن تعرض النظام الواسطالي للنخر يعود إلى انتشار خطابين متناقضين قوضا أركان الدولة- الأمة حسب "بيرتراند بادي" وهما خطاب العولمة، حيث لم يعد مجدي التثبيت بالدولة بمفهومها التقليدي في ظل الإصلاحات التي أضحت تفرضها المتغيرات الاقتصادية والتكنولوجية والمجتمعية، ومن جانب آخر هناك خطاب التفكيك ويرى بدوره أن الدولة لم تعد قادرة على تلبية تطلعات مواطنيها وبأن الالتفاف حول مرجعيات محلية تقليدية كالقبيلة والاثنية كفيل بتحقيق مواطنة فعلية لا مواطنة بلاغية⁽²⁾.

إن فالسرديات الناشئة حول العصر الوسيط الجديد تتفق بالأساس مع دعاة العلاقات ما بعد الدولية، فقد يبدووا للوهلة الأولى أن عالماً كهذا سيؤول إلى انتقاء للنظام بدل انتقاء

(1)- Jorge Fried Richs, the meaning of new medievalism, An exercise in theoretical reconstruction in European approaches to international relation theory, a hawse withe many mansion London, 2004, P126.

(2)- عادل زقاغ، العصر الوسيط الجديد وتداعياته على النظرية والممارسات في العلاقات الدولية، مرجع سابق الذكر، ص162.

للتراتبية المعهودة منذ واستقاليا لكن توصيفا كهذا بعيد عن الدقة فalcرون الوسطى الأولى في أوروبا عرفت تداخلاً في السلطات والولاءات. إلا أن التنافس بين الإقطاع المحلي والكنيسة الكاثوليكية كسلطة أسمى في هذه المنطقة من العالم لم يقد إلى انتفاء النظام⁽¹⁾.

وبين الجدول التالي مدى التشابه البنوي بين العصر الوسيط القديم والجديد:

الجدول رقم 01 يوضح الفروقات الجوهرية بين العصر الوسيط الكلاسيكي والجديد

العصر الوسيط الأول	العصر الوسيط الجديد
كان العصر الوسيط يتسم بوجود سلطات متداخلة وولاءات متعددة. هذه القوى الدافعة كانت تتجاذب الجميع عبر الادعاءات بامتلاك الشرعية والقدرة على تحقيق خلاص الفرد عبر السلطة السياسية (الإمبراطورية) أو من خلال السلطة الدينية (السيحية).	ما تشهده حالياً هو إمامة إحياء واقع السلطات المتداخلة والولاءات المتعددة. والقوى الدافعة هذه المرة تتجاذب الجميع عبر الادعاءات بامتلاك الشرعية والقدرة على تحقيق خلاص الفرد عبر سيادة الدول من جهة، وهائلة السوق الاقتصادية المالية من جهة أخرى.
التواء الاجتماعية للسرديات "العلمانية" المتطرفة بادعاءات الشرعية في "العصر الوسيط الأول" تتمثل في الطبقة الاجتماعية الأرستقراطية.	أما بالنسبة للعصر الوسيط الحالي فإن التواء الاجتماعية للسرديات "السياسية" المتطرفة بادعاءات الشرعية فتتمثل في النخبة من صناعات السياسة المالية والبيروقراطيين "الدوليين".
التواء الاجتماعية للسرديات الدينية المتطرفة بادعاءات الشرعية في "العصر الوسيط الأول" يتمثل في طبقة رجال الدين المتضوين تحت قبة الكنيسة الكاثوليكية، حيث كانوا يتمتعون بحيوية كبيرة على مستوى التواصل الاجتماعي، ولم تكن المواقف الجغرافية تحد عزيمتهم.	التواء الاجتماعية للسرديات "الاقتصادية" المتطرفة بادعاءات الشرعية في العصر الوسيط الحالي تتمثل في طبقة رجال الأعمال العابرين للحدود وخولاء بدورهم يتمتعون بحيوية كبيرة على مستوى قدرتهم على التواصل الاجتماعي، حيث لم يعد اليمد الجغرافي يشكل عقبة بالطلق.
كانت السرديات الدينية في العصر الوسيط الأول تعتمد على التبولجيا الكاثوليكية التي بشر بها مناسرون معروفون لدى العامة، والشيء ذاته لدى السرديات العلمانية المناوئة، وإن بدرجة أقل، سيما لدى "دانتلي" Dante، "أوكهام" Okham، "مارسيليو" Marsiglio.	كل من منظمتي الدولة- الأمة واقتصاد السوق تعتمدان على نخبة تستند إلى المعرفة، أي إلى مجموعة ابستمولوجية تتشكل من مثقفين ومؤلفين معروفين لدى العامة.
لقد ادعت كلتا الشريعتين المتنافستين خلال العصر الوسيط الأول بالتفوق، لكن	الشريعتان المتنافستان في العصر الوسيط الحالي (الاقتصاد والسياسة) تدعيان

المصدر : عادل زقاغ ، العصر الوسيط الجديد وتداعياته على النظرية والممارسات في العلاقات

الدولية ، مرجع سابق الذكر، ص 164-165.

وبين الجدول التالي مدى التشابه البنوي بين العصر الوسيط القديم والجديد، فهناك قوى جذب في كلاهما تدعي كل منها الشرعية وتدعي امتلاك القدرة على تخلص الفرد من

(1)-عادل زقاغ، العصر الوسيط الجديد وتداعياته على النظرية والممارسات في العلاقات الدولية ،مرجع سابق الذكر

المشكلات الحياتية المختلفة، مع فارق أن العصر الوسيط الحالي يشهد صراعاً قواعداً للعبة فيه معلنة حيث أن كلاً من السوق والسياسة تستندان لأسس علمانية معلنة.

لكن السؤال المطروح إذا ما كان العصر الوسيط الحالي سيقودنا إلى نهضة إنسانية جديدة كما كان عليه العصر الوسيط الأول أم يجعلنا نتقهقر إن عصر ظلمات آخر على حد تفسير "فيل ويليمز"، يقول "فيل ويليمز" أن الدولة وفي ظل المخاطر المحدقة باستقرارها وبقائها (مثل الارهاب البيولوجي والنووي، والأوبئة المدمرة)، ونظراً للسياسة الحكومية المفرطة إزاء التهديدات الأمنية المستجدة فإنها قد تلجأ لاتخاذ تدابير وقائية متشددة والتي ستؤدي إلى رفع تكاليف إبرام الصفقات مما يساهم في إيجاد الظروف المناسبة لما يطلق عليه ويليمز "عاصفة مثالية" قد تعصف بإنجازات الإنسانية⁽¹⁾ أما عن صعيد الممارسة أدى تحديات العصر الوسيط الجديد إن بروز استقهاامات بخصوص المسلمات التقليدية على سبيل المثال لم يعد نظام نطاق العمل التقليدي الموصود لأهم مؤسستين أمنيتين في أية دولة ثابتاً، حيث تتكفل الشرطة بالحفاظ على النظام العام بينما يضطلع الجيش بصيانة سيادة الدولة وحدودها الوطنية، إذ أن التعاطي مع الجريمة المنظمة (الشبكات المافيوزية) أصبحت مهمة شاقة، حتى أن حالات الحرب لم يعد السياسيون يطرحونها كخيار استراتيجي حيث تتحول الحرب إلى ظاهرة داخلية وجرائم النظام العام إلى مظاهر دولية مما أدى إلى وقوع المؤسسة الأمنية والعسكرية في ارباك في أداء وظائفها دون التنسيق مع الأجهزة الأمنية الأخرى⁽²⁾.

لقد كان التفاعل في السابق يحدث وفق منطق هيراركي عبر تمفصلات عمودية أما الآن فإن التفاعل لم تعد له نقاط تمفصل ثابتة أو عمودية مراقبة من طرف الدولة لذا فإن المقاربة للظاهرة الدولية بمنظور الصورة التي تقدمها لنا الخارطة وتجسمها بشكل مسطح لم

(1) -عادل زقاغ، العصر الوسيط الجديد وتداعياته على النظرية والممارسات في العلاقات الدولية، مرجع سابق الذكر، ص164.

(2) -المرجع نفسه، ص166.

يعد دقيقاً وهنا بفضل "روب والكر" و"ديدي بيكو" الاستعانة بتجسيم طبوغرافي لا يساعد على الاستيعاب فحسب بل أنه يفسر بطريقة دقيقة عدم إمكانية الحسم في مواقع الثقل الرئيسية في العالم والتي تحرك الأحداث هل هي المجموعات الابستمية التي تصنع المعرفة أم أنها المجموعة الدينية والعرقية والتي تمثل وعاء روعي للفرد بدرجات متفاوتة، وهذا هو جوهر النزعة النظامية الجديدة في حقل علم السياسة عامة والعلاقات الدولية خاصة من خلال نظام التعقد وبذلك فالمقاربة للظاهرة باعتبارها تفاعلاً بين أنظمة شبكية بمراكز ثقل وسلطة متجاذبة تتساب في مسار لانهائي بالاعتماد على تمفصلات لا يمكن ضبطها من طرف الحكومات⁽¹⁾.

المحاضرة رقم 07: مدخل لعلم التعقيد كبراداييم تحليلي جديد في حقل علم السياسة

✓ الانتقال من الفيزياء الحداثية إلى الفيزياء ما بعد الحداثية .

يعتمد تطور العلم نحو الشمولية على القدرة لتحويل المعلومات المكتسبة من جهة إلى جهة أخرى أو من خلال اختزال مفهوم إلى مفهوم آخر، كاختزال الضوء إلى كهرباء، والحرارة إلى جزيئات والكيمياء إلى فيزياء، وهكذا نرى العلم ينمو دائماً نحو الاختزال من أجل التفسير لأن الاختزال يلعب دوراً هاماً في التفسير العلمي باعتباره الطريقة الأكثر اقتصاداً ، بهذه الطريقة سيطرت النزعة الاختزالية في الفكر العلمي منذ القرن السادس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر غير أن التطورات والاكتشافات التي شهدتها العلم منذ بدايات القرن العشرين في مجالات عدة الطبيعية والبيولوجية وصولاً إلى علوم الإنسان والاجتماع ومع ما نتج عن ذلك من النظريات في حقول معرفية شتى تهتم بدراسة مجموعات ديناميكية خلال تفاعلات مختلف الأجزاء فيما بينها، وليس بتقسيمها إلى أجزاء، أدى كل ذلك إلى إحداث تحولاً في أسس العلم وطبيعته فلم نعد نتصور العلم تصوراً خطياً قائماً على الانتظام والسببية والحتمية والتعميم

(1) - المرجع السابق الذكر ، ص166.

والاختزال⁽¹⁾ بل إن اللاخطية أصبحت هي جوهر العلم وتعبيرا عن طبيعته المعقدة، وبالتالي أدت إلى هدم الأسس التي قامت عليها الاختزالية، بل ورسمت ثورة علمية جديدة بالكيفية نفسها التي رسمتها الثورة الكوبرنيكية وتقوم منظومة التعقيد على أسس متناقضة لأسس منظومة التبسيط، حيث كانت الفوضى مفتاحا جديدا للمعرفة العلمية، بعدما كان النظام هو الهدف من دراسة الظواهر الطبيعية وتقنياتها وتكميمها رياضيا، وحلت الاحتمية في الفيزياء المعاصرة وتحديدًا في الفيزياء الذرية محل الحتمية المطلقة التي أسستها الميكانيكا النيوتنية وبالتالي مثلما كان العلم المستمد من فكر ديكارت يضع التعقيد بالتبسيط على نحو منطقي جدا، فإن الفكر العلمي المعاصر يحاول أن المعقد تحت مظهر البسيط⁽²⁾.

لقد شهد مطلع القرن العشرين ثورتي النظرية النسبية لـ ألبرت أينشتاين (1885-1955) ونظرية الكوانتوم التي أسست لها مجموعة من الفيزيائيين في طليعتهم ماكس بلانك (1858-1947) نيلز بوهر (1885-1962) إرفين شرودنغر (1887-1961)، فرنارد هايزنبارغ (1901-1976)، لقد قلبت نظريتنا النسبية والكوانتوم معا مسلمات الفيزياء الكلاسيكية كما الحتمية الميكانيكية والموضوعية والسببية المطلقة⁽³⁾، وتشير فيزياء الكوانتوم إلى كميات الطاقة المحددة التي تنبعث بشكل متقطع وليس بشكل مستمر، وكمثال نشير إلى نظرية تفسير إشعاع الجسم الأسود حيث وضع بلانك بعض الافتراضات على أساس النظرية الكوانتية للإشعاع وهي على النحو التالي:

1- كمية الطاقة المنبعثة أو الممتصة من المتذبذب في الجسم الأسود تتناسب مع تروده
 $\Delta E = h\nu$

(1) - داود خليفة، ابستمولوجيا التعقيد والفكر المركب عند إدغار موران، منشورات ضفاف، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2019، ص 105-107.

(2) المرجع السابق الذكر، ص 107.

(3) محمد حمشي، النقاش الخامس في حقل العلاقات الدولية، نحو إقحام نظرية التعقيد داخل الحقل، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتورا علوم في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، تخصص علاقات دولية، جامعة بابتة 1 قسم كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، 2016 - 2017م، ص 101-102.

2- تأخذ طاقة المتذبذب قيم محددة (مكممة) $n = nh\nu$ ، ويحمل هذا الكوانتوم من الطاقة جسم يسمى النوترون.

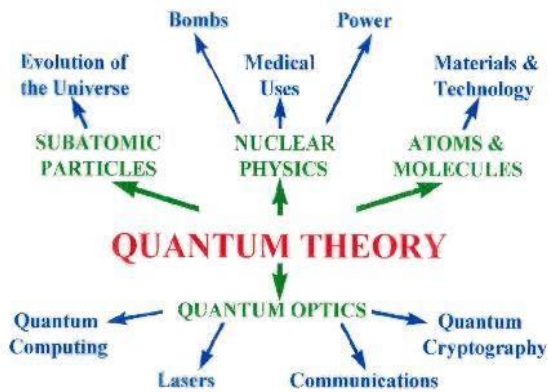
وعلى أساس هذه الفرضيات تمكن العالم الفيزيائي "ماكس بلانك" من اشتقاق قانون بلانك لإشعاع الجسم الأسود الذي فسر نتائجه العلمية على النحو التالي، كما هو موضح في المعادلة التالية :

$$E(\lambda, T) = \frac{2\pi hc^2}{\lambda^5} \frac{1}{e^{h\nu/kT} - 1}$$

لقد ساد الفيزياء الكلاسيكية معتقدا بأن الطاقة تسير في سير متصل من هنا بدأ بلانك في وضع تصور أو فرض جديد للكيفية التي تنتقل عبرها الطاقة (1).

افتراض بلانك أن الطاقة لا تنتقل فيسبل متصل ولكنها تنتقل في صورة وجبات أو كمات ضوئية ومن هنا انبثق لفظ كوانتوم والذي يعني في اللغة اللاتينية الكمية ،أما عن الأهمية العلمية والتطبيقية لنظرية الكوانتوم فلها تطبيقات عديدة منها تطبيقات في الفيزياء النووية ، والجسيمات الأولية والفيزياء الجزيئية، والحسابية

شكل رقم 11: يوضح التطبيقات المختلفة لفيزياء الكوانتوم



المصدر : هيثم السيد، ياسر مصطفى، نظرية الكوانتوم بين العلم والفلسفة، مرجع سابق الذكر،

ص 434

أما عن افتراضاتها الأساسية يمكن ضبطها كما يلي :

1-اللايقين:

تعود حالة اللايقين إلى تصور آلات الرصد والقياس عند بولغ حالة الدقة المطلقة، لقد أثبتت أن آلات الرصد مهما بلغت دقتها وتعدد تصميمها فهي تسجل ترصد القياسات بدقة محدودة للغاية وتبقى درجة اليقين المطلق غير متاحة لذلك فقد كان الطموح الأول للعلوم التجريبية على اختلاف مجالاتها البحثية وهو الوصول إلى تصميم آلة قياس أو رصد أكثر دقة وأقل ارتياباً، فقد أدت أعمال هايزنبورغ وغيره من فيزيائي الكوانتوم إلى زيادة الهوة بينهم وفيزيائي الحداثة (انشتاين واتباعه في دراسة بعض الحالات الفيزيائية، من جهة أخرى أثبتت نظرية الكوانتوم أن الجسيمات ما دون الذرة كالإلكترونات والفوتونات لا تتصرف بشكل حتمي⁽¹⁾، وإنما بشكل احتمالي.

2-الازدواجية :

من بين مفاهيم فيزياء الكوانتوم مفهوم ازدواجية جسم موجه، ففي بعض الأحيان لا يمكن فهم سلوك الإلكترون إلا من خلال تصويره عبارة عن موجه تائهة عبر الفضاء كله. كانت إجابة فيزياء الكوانتوم مع السؤال القديم ما إذا كانت جزيئات الضوء عبارة عن جسيمات أم عبارة عن موجات، وهي الأبحاث التي تحققها من خلال أبحاث "توماس يونغ" (1773-1889) تجربة الشق المزدوج، وانشتاين، 1905 وتوصل أن فتون ضوئي هو عبارة عن موجة متداخلة تمر عبر كلا الشقين في الوقت نفسه

هذا الأمر لا يحدث فقط الفوتونات لكنه يحدث مع الجسيمات الأخرى، كالإلكترونات والنيوترونات، إضافة إلى معادلة "نيز بوهر حول الازدواجية على اعتبارها شكل من أشكال التكاملية (موجة، جسيم) وبذلك فيزياء الكوانتوم فتحت باباً أمام نمط جديد من التفكير حول

1 (محمد حمشي ، مرجع سابق الذكر، ص430.

العالم، كان العلم قبل القرن العشرين يتعامل من خلال المقولات اليقينية التي يقوم عليها المنطق الأرسطي إما يكون (أ) أو ليس (أ) ، أما اليوم العلم يطرح فكرة امكانية أن تكون الحالتين معا .

3-المصادفة:

إن المصادفة في علم الكوانتوم ليس مقياسا للعمل به ، ولكنها خاصية طبيعية ومتأصلة فيه، ولن يسمح أي قدر إضافي من المعرفة للعلم بأن يتنبأ بالحظة التي تتحلل فيها ذرة معينة وقد قدمت فيزياء الكوانتوم أن المصادفة مطلقة وغير قابلة للاختزال مصدرا من مصادر الخلاف مع فيزيائي الكوانتوم في مقدمتهم بوهر وأينشتاين.

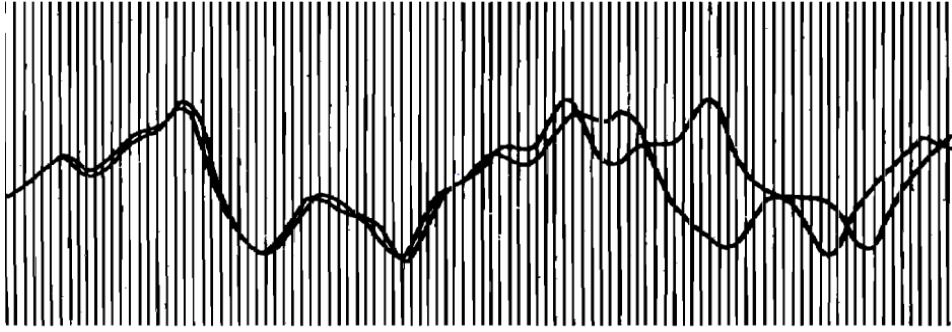
4-التراكب :

✓ نظرية الشواش لأعمال لورنتز وبوينكر

طريقة نظرية الفوضى من "لورنتز وبوينكر" ،التي يمكن استخدامها لدراسة النظم المعقدة والديناميكية لكشف أساليب الترتيب (الغير فوضوي) ،من خلال التصرفات المشوشة للظاهرة فنظرية الفوضى هي دراسة نوعية السلوكيات الغير منتظمة والغير مستقرة في أنظمة حتمية لا خطية وديناميكية ، فطبقا للنظرية الرياضية الحالية فالنظام المشوش معرف بأنه يبدي الحساسية للشروط الأولية وبمعنى آخر لكي تتنبأ بالحالة المقبلة تحتاج أن تعرف الحالات الأولية بدقة واللانهائية ،هذا يفسر صعوبة التنبؤ بالطقس، فأثناء الستينيات قام "إدوارد لورنتز" المراقب الجوي في "أم أي تي"، ومن غير قصد تعثر على تأثير الفراشة عقب انحرافات الحسابات لاتجاهات أخرى وبالألاف فتأثير الفراشة يعكس تغيرات المقاييس الصغيرة ، والتي تستطيع أن تؤثر على المقاييس الكبيرة، مثال على ذلك فالفراشة التي تضرب بجناحها في هونغ كونغ يمكنها تغيير أساليب الأعاصير في تكساس (1) ، لقد أثبتت "نظرية لورنتز" أن التنبؤ بالطقس لمدة تزيد عن يومين أو ثلاثة أيام لا يتعدى درجة التكهّن والتخمين ،وإذا زاد عن

ذلك يفقد التنبؤ بأحوال الطقس قيمته ، ويرجع ذلك لما أسماه "أثر الفراشة"، حيث تستطيع عناصر صغيرة نسبيا من الطقس أن تفقد أفضل التنبؤات عن المناخ قيمتها حيث أدت التجربة التي قام بها "إدوارد لورنتز" في كومبيوتره رأى رسم نمطين مختلفين من أحوال الطقس وأنهما يزدادان تباعدا بمرور الوقت⁽¹⁾ كما توضح الصورة التالية من طبعة ككومبيوتره في عام 1961م

الشكل رقم 12 يوضح الانماط المختلفة لأحوال الطقس للورنتز



المصدر : جاييس غليك ، نظرية الفوضى : علم اللامتوقع ، مرجع سابق الذكر، ص 33

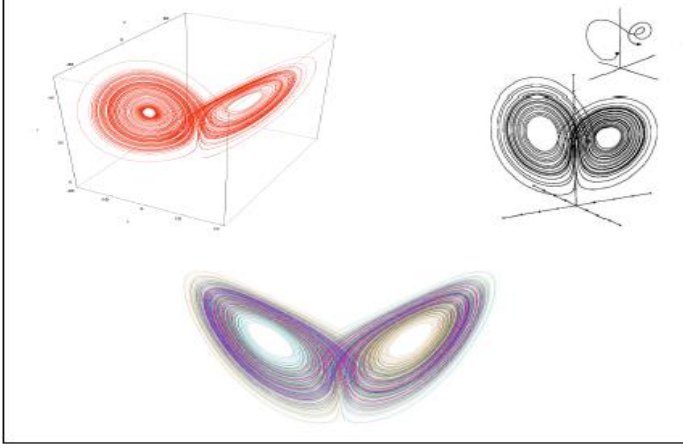
يشرح "جيمس غليك" "جناحي الفراشة"، على أنه تحمل نماذج المناخ عبر سلسلة من النقاط التي تفصلها مسافة تقارب 120 كيلومتر وعلى الرغم من ذلك يتضمن الكثير من المعطيات الأولية تخمينات عدة لأن معطيات الرصد الأرضية والجوية لا يمكنها رؤية كل شيء .

✓ الجانب الغريب وأثر الفراشة لأبحاث إدوارد لورنتز:

قام "لورنتز" بدراسة سلوك غلافين جويين حساسين لتغيير طفيف في الشروط الابتدائية بينهما ثم قام من خلال الحاسوب بتمثيلهما بنقطتين متطابقتان، لكنها في الواقع متقاربتان تفصل بينهما مسافة متناهية والنتيجة الأهم لأعمال "لورنتز" حتى في حالة دراسة عدد كبير من الأغلفة الجوية ينتهي المطاف بالمسارات إلى التمثل في أشكال بيانية تبدو عشوائية غير قابلة للتوقع لكنها تتراكم جميعا حول شكل يشبه إلى حد بعيد "جناحي فراشة وهو ما يطلق

1 (جاييس غليك ، نظرية الفوضى : علم اللامتوقع ، ترجمة أحمد مغربي ، دار الساقى ، لبنان ، بيروت، الطبعة الأولى، 2008م، ص36-38.

عليه "جاذب لورنتز" أو "الجاذب الغريب"، الذي يصف سلوك الأنظمة غير القابلة للتوقع كما
الشكل رقم يوضح الجاذب الغريب للورنتز



المصدر : محمد حمشي ، مرجع سابق الذكر ، ص 147.

حيث قام "لورنتز" عام 1973م بعرض ورقة بحثية موجزة في "مؤتمر للجمعية الأمريكية لتقدم العلوم المتقدمة" حملت عنوان: "قابلية التنبؤ: هل يمكن لرفرفة جناحي الفراشة في البرازيل أن تحدث إعصارا في تكساس"، ثم تم إعادة صياغة العنوان بالتساؤل ما إذا كان سلوك الغلاف الجوي يعد غير مستقر إذا ما قيس باضطرابات صغيرة السعة ثم أستقى جيمس يورك أبحاثه من ورقة "لورنتز" وكتب مقالا علميا بالتعاون مع زميله "تين يان لي" المعنون بـ الدورة الثالثة تعني الشواش"، وتحول لاحقا إلى مفهوم مؤسس لعلم قائم بحد ذاته علم التعقد (1).

إضافة لأبحاث هنري بوانكاري وطرح "معضلة الأجسام الثلاثة"، وأعمال "التشعب الثنائي والتماثل الذاتي" لأعمال "روبرت ماي" الذي اكتشف أصول الشواش في علم الأحياء، وكذا أعمال بونوا ماندلبروت وطرح فكرة "الهندسة الكسرية من الفروع المؤسسة لعلم التعقد صحيح أن هذه الدراسة تختص بدراسة الأشكال والمجموعات اللامنتظمة والمعقدة لكنها تبحث أساسا في اكتشاف أنماط التكرار والتماثل الذاتي التي يبيدها اللامنتظم والمعقد وأعمال "إيليا بريغوجين" في

1 (محمد حمشي، النقاش الخامس في حقل العلاقات الدولية ، نحو إقحام نظرية التعقد داخل الحقل، مرجع سابق الذكر، ص144-149.

طرح التنظيم الذاتي والمنظومات البعيدة عن التوازن عبر دراسات الأنظمة البعيدة عن التوازن في الحقل الديناميكا الحرارية، وانتهى في بحوثه حول ما أصبح يعرف "بالبنى اللاخطية المبددة للطاقة" إلى التوازن والبعد عن التوازن، حيث ينتج التعقد أشكال من التنظيم الذاتي الذي يحدث تلقائياً في المنظومات البعيدة عن التوازن، أما التشعب فيقصد به أن المنظومة الشواشية عندما تصبح غير مستقرة في بيئتها بسبب اضطراب ما (1)

أما فيما يخص مفهوم التعقيد "complexe" فإنه يحيل إلى المصطلح اللاتيني "complexus" الذي يقصد به توحيد جملة من الوقائع الجزئية في تصور تركيبى أما الفكر المعقد فهو مفهوم فلسفي من طرح "هنري لايبوري" (1914-1995)، وقام "إدغار موران" بترسيم الصيغة الأولى للفكر المعقد في عام 1982 في كتابه "العلم مع الوعي" فمفهوم التعقيد من الناحية الاتيمولوجية يحيل دائماً إلى ما هو مركب ومتصل، ويدمج التعقيد في مفهومه نظريات شتى تبرز جوهره تعرف بأنها نظريات التعقيد (2) أو علوم التعقد، منها نظرية الفوضى - علم النفس المعرفي، علم الحاسوب، علم الأحياء التطوري، نظرية النظم العامة، المنطق الضبابي .

✓ اقحام التعقيد كبراداييم جديد في حقل العلاقات الدولية:

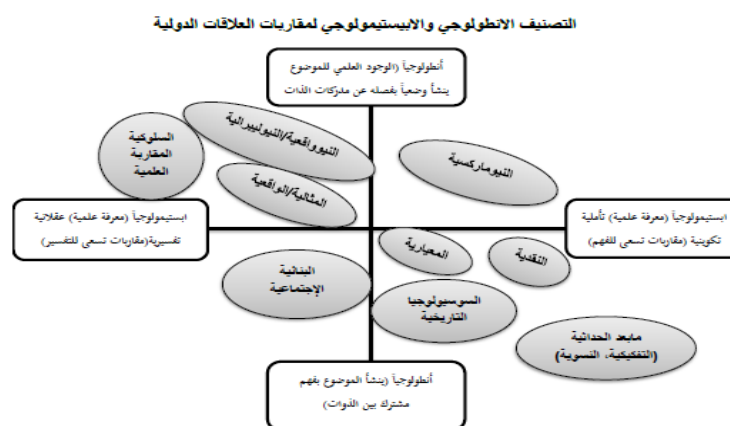
لا يرتبط التعقيد المتزايد في السياسة العالمية فقط بتعدد الفواعل (انتشار الفواعل غير الدول وما دون الدول وما فوق الدول)، أو بتعدد القضايا وتشابكها، لكنه مرتبط أكثر بتحول جوهري في النظام الدولي في حد ذاته، حيث باتت المفاهيم التقليدية كالفوضى وتوزيع القوة فارغة من محتواها، بل ظهر هناك موقف آخر في استقطاب الأنصار يدعو إلى البدء في الحديث بجدية حول نظام عالمي يقوم على علاقات ما بعد الدولية، يعتبر المقال الذي نشره "إيمليان كافالسكي" سنة 2007م بعنوان "النقاش الخامس وبرزو نظرية التعقد في العلاقات الدولية، ملاحظات حول تطبيق نظرية التعقد في دراسة الحياة الدولية، ومن الغير الممكن إنجاز

1 Campbell A.B. Applied Choo's Theory A Paradigm For Complexity Academic press Unc San Pie go 1993

2 (داود خليفة، ابستمولوجيا التعقيد والفكر المركب عند إدغار موران، مرجع سابق الذكر، ص156-157.

مراجعة أدبيات التعقد كنظرية أو كفلسفة أو كعلم قائم بذاته دون التأكيد على طبيعتها العابرة للتخصصات، لقد سبق للباحث "ديلان كيسان" أن ناقش أطروحة دكتوراه سنة 2009 في كلية الدراسات الدولية تحت عنوان: "نحو التحرك ما وراء الفوضى: التعقد كبديل للفرضية الواقعية"، وأكد أن قوائم القراءات حول نظرية التعقد تنطوي على طيف واسع من التخصصات، فهناك تمازج بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية كما أسماه كافال "سكي" حركة تلاقح دؤوبة بين العلوم الطبيعية والاجتماعية (1)، كذلك الكتاب الجماعي الذي حرره "نيل هايرسون" وصدر سنة 2006م تحت عنوان التعقد في السياسة العالمية: مفاهيم ومناهج من أجل براداييم جديد"، كذلك لا ينبغي أن نفوت مراجعة أدبيات التعقد في حقل العلاقات الدولية قراءة الأعمال الرائدة التي تركها الراحل "جيمس روزن" خاصة الكتاب الجماعي الذي حرره سنة 1992 برفقة "أرنيسنت أوغو تشامبيل" تحت "عنوان الحكم بدون حكومة: النظام والتغير في السياسة العالمية"، حيث أصبحت العبارة الواردة في الجزء الأول من عنوان الكتاب "'الحكم بدون حكومة أساسا لمفهوم 'الحكومة العالمية' الذي يقدمه البعض أنصار نظرية التعقد كبديل أكثر ملاءمة لوصف خاصية التعقد المتزايد الذي أصبحت تتسم به السياسة الدولية

كما يوضح المنحى البياني التالي رقم 12: التصنيف الأنطولوجي والابستمولوجي لمقاربات العلاقات الدولية



Robert-Jackson-and-Georg-Sorensen, *Introduction to International Relations: Theories and Approaches* (UK : Oxford University Press, 2007), p. 264.

والجدول التالي رقم 02 : يوضح التعاقبات المقارباتية للعلاقات الدولية من النقاش الأول إلى النقاش

الخامس

الفترة التاريخية	العشرينيات والثلاثينيات	الخمسينيات والستينيات	الثمانينيات	التسعينيات
النقاش	النقاش الأول	النقاش الثاني	النقاش الثالث	النقاش الرابع
البرادايمايت المشاركة	المثالية ضد الواقعية	السلوكية/العلمية ضد التقليدية	مابعد الوضعية ضد الوضعية	البنائية مقابل العقلانية مقابل التأملية
طبيعة الاتصال	ثنائي الأطراف	ثنائي الأطراف	ثنائي الأطراف	متعدد الأطراف

المصدر : محمد حمشي ، النقاش الخامس في حقل العلاقات الدولية ، نحو إقحام نظرية التعقد داخل الحقل، مرجع سابق الذكر، ص54.

أنظر الجدول يوضح التعاقبات البارادايمية في حقل العلاقات الدولية بين المواضيع الثنائية واللاثنائية ،وتأتي محاولة إقحام نظرية التعقد داخل الحقل في سياق توصيات التقرير النهائي "للجنة الدولية للإصلاح" وإعادة بناء العلوم الاجتماعية" the Gulbenkian Commission on the Restructuring of the Social Sciences الذي ترأسها "إيمانويل" فالرشتاين" سنة1996⁽¹⁾،والتي دعت إلى إصلاح مؤسسة البحوث الاجتماعية عبر توجيهها أكثر على ديناميكيات اللاتوازن كما أن المناخ الابستمولوجي الذي ساد عقب صدور التقرير لم يؤكد فقط على إعادة تعريف الحدود بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية بل على تشجيع العلوم الاجتماعية على إعادة تعريف الالاقين، اللاخطية ، و الاحتمية.

أما في مجال العلاقات الدولية تقوم نظرية التعقد في حقل العلاقات الدولية على اللاتعين، عدم القابلية للتفكيك، و اللاخطية .

1/اللاحتمية واللاتعين:

بفضل خاصيتي اللاحتمية واللاتعين المتلازمتين للنظام الدولي كأى نظام معقد/شواشي آخر ففي الأنظمة المعقدة تتفاعل العديد من الفواعل التي تتزايد مع مرور الزمن احتمالات تأثيرها على سلوك النظام يكون التنبؤ بالمسار المستقبلي لفاعل معين أو لمجموعة من الفواعل أمرا غير متاح خاصة في النظام السياسي العالمي الذي يمكن اعتباره نظاما معقدا من عدة أنظمة معقدة تتفاعل فيه الفواعل وعوامل الاضطراب على نحو غير قابل للتعين من جهة أخرى تشكك أنطولوجيا نظرية التعقيد في الافتراض الذي تنطلق منه النظريات السائدة القائل بأنه في سياق معين وفي أية لحظة زمنية معطاة يوجد واقع وحيد قائم هناك في انتظار أن يكشف في مقابل ذلك تؤكد نظرية التعقيد على وجود أكثر من واقع واحد (1).

2/عدم القابلية للتفكيك:

لا ترجع هذه الاستحالة إلى مبدأ عدم قابلية الأنظمة المعقدة للاختزال إلى مجموع مكوناتها لكنها ترجع أساسا إلى استحالة تعيين خصائص وأنماط سلوك جميع الفواعل والعوامل المؤثرة في سلوك النظام الدولي وتطوره ، ويظهر ذلك في الترابط والاعتماد المتبادل المكثف والمعقد الذي بلغته الفواعل والتفاعل في مستوى النظام العالمي .

3/اللاخطية:

وجود علاقات مستقرة بين فواعل النظام الدولي أمر ممكن، لكن هذا الاستقرار غالبا ما يتسم بأنه قصير المدى ضعيف وغير خطي بسبب تزايد أنثروبيا النظام واستمراره في الابتعاد عن التوازن (2).

1 (محمد حمشي، مرجع سابق الذكر، ص213.

2 (المرجع السابق الذكر ، ص250-251.

تعد هذه المحاضرة أهم المداخل المهمة لفهم التعقد المستمر للأبحاث والدراسات الابستمولوجية في حقل علم السياسة عامة والعلاقات الدولية خاصة، وتحتاج إلى فحص افتراضات أكثر عمقا لفهم سياق ونتائج وتفاعلات النظام العالمي ذات الميزة المعقدة .

المحاضرة رقم 08 :الإزاحة الإبستمية وفينومينولوجيا السلطة لدى أبحاث ميشال فوكو

✓ الأركولوجيا من دراسة علوم الآثار إلى دراسة تحليل الخطابات

أطلق فوكو اسم الأركولوجيا Archéologie على منهجه، وهو مفهوم ظهر لأول مرة في "تاريخ الجنون" في العصر الكلاسيكي، وكان "مولد العيادة" يحمل في طبعته الأولى عنوانا فرعيا هو "أركولوجيا النظرية الطبية ،كذلك الأمر في "الكلمات والأشياء" Les mots et les choses ،حيث حمل عنوانا فرعيا هو "أركولوجيا العلوم الإنسانية يحمل لفظ أركولوجيا إلى فكرة الحفريات ليوحي لنا بافتراض وجود وقائع خفية ومتوارية يستجوب على الفلسفة فك رموزها معروف أن الأركولوجيا فرع علمي يعنى بدراسة الحضارات القديمة لكن فوكو يستخدم هذه التسمية بشكل مغاير ومختلف بقوله" لقد استعملت هذا اللفظ للدلالة على وصف الوثيقة ولم أقصد به مطالعا اكتشاف بداية ما، أو الكشف عن عظام رميمة"، فالأركولوجيا هي تحليل للممارسة الخطابية (قواعدها -شروطها-مبادئها) ،يشير فوكو من هنا ببرز مشروع وصف الأهداف الخطابية وهو وصف يتميز بكيفية واضحة عن تحليل اللغة ففكر فوكو يهدف إلى تحليل أحداث الخطاب (1)، ويوضح "لقد استخدمت مفهوم أركولوجيا في معنى مجازي لأدل به على كل شيء هو الأرشفة وليس إطلاقا اكتشاف بداية ما أو أحياء رفات الماضي الميت"، يقدم لنا في هذا السياق تعريفا فيقول "ما سأسميه أرشيفا ليس هو مجموع النصوص التي احتفظت بها حضارة ما، ولا مجموع الآثار التي أمكن

1 (عبد الرحمن التليلي، فوكو: الحفريات منهج أم فتح في الفلسفة؟، مجلة عالم الفكر، العدد الأول، 30أفريل 2002، ص4-1.

إنقاذها من التلف ، ولكن مجموع القواعد التي تحدد داخل ثقافة ما ظهور واختفاء الخطابات استمرارها وتلاشيها ⁽¹⁾

تهدف الأركولوجيا إلى الكشف عن القواعد الصورية لتشكل الخطاب في حقبة تاريخية معينة فهي محاولة للكشف عما يسميه مجموع الشروط القبلية التي تحدد نمط وجود الخطابات المعرفية في فترة تاريخية معينة، وفي ثقافة معينة، والكيفية التي توظف بها تلك الخطابات في الممارسات وفي السلوك، فهو لا يدرس الخطاب بوصفه مجموعة من العناصر المحملة بالأدلة تحمل إلى قضايا ومضامين ومقاصد أسسها الذات، كون المعرفة إنما هي سيورة من دون الذات، فالممارسة الخطابية لا تحيل إلى الذات بل هي قواعد موضوعية وتاريخية محددة زمانيا ومكانيا تحددها الموضوعية الوظيفية المنطوقة أو الخطابية، فالممارسة غير خطابية التي ترتبط بالواقع البراكسيي ⁽²⁾.

وفي كتابه "الكلمات والأشياء" طبق فوكو طريقته في تحليل مختلف الخطابات خاصة خطاب "البيولوجيا والاقتصاد واللغة"، فالمفوز هو الوحدة الأولية للخطاب والأركولوجيا هي تحليل للأحداث الخطابية، فالخطاب هو شكل من أشكال الممارسات تحكمها قواعد ما وينبغي عليها الانصراف إلى ما وراء الخطاب و قراءة ما يخفيه و الكشف عن اللامنطوق ، وفي كل خطاب كلام مسكوت عنه ينطق بها نص الخطاب وفق الأركولوجيا ليس إلا اختراقا للنص الأول وإعادة قراءته قراءة ثانية للكشف عن امكانيات الخطاب والكشف عن المسكوت عنه الذي لا نقوله الكلمات حسب تصور فوكو لم يعد الخطاب اخبار للحقيقة بل هو ما ينتج الحقيقة التي

1 (عبد الرحمن التليبي، مرجع سابق الذكر ، ص4.

2 (داود خليفة، شنوف نصر الدين، تحليل الخطاب في ضوء المناهج الفلسفية والنقدية المعاصرة، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، ص88-89.

تقرض نفسها على وعي المتلقي، ما ينتهي إليه فوكو هو أن الخطاب يحتوي بين ثناياه على معان صامته تمتلئ بنبع لا ينقب عن الأصل الذي يتعذر البحث عنه في أي مصدر آخر (1)

التحليل الأركولوجي يهتم بالانفصالات وبضروب الظهور والتلاشي وبالتالي يميز فوكو حفرياته عن تاريخ الأفكار "الأركولوجيا تخل مطلق عن تاريخ الأفكار، ورفض منتهى لمسلماته وطرقه ومحاولة لإقامة تاريخ آخر لما قاله البشر وأحداث قطيعة لموضوعات الفلسفة التقليدية، بقوله " ليس الإنسان هو المتكلم داخل هذا النسق ، إنه مجرد وهم وميثولوجيا والمتكلم هو اللغة ، النسق يدرك ذاته بذاته، باللغة ومن خلالها" ، فالمنهج الأركيولوجي يرفض النزعة الذاتية فلا يعني التحليل الأركيولوجي باللغة في ذاتها ولا ببنياتها ولا بمنطقها الداخلي، وإنما هو يروم وصف الأحداث الخطاب في واقعيتها وممارستها ويتساءل عن شروطها التاريخية وعن علاقة الخطابات المماثلة والمغايرة (2)

✓ التحول من الأركيولوجيا إلى الجينالوجيا:

تمثل مسألة المعنى إشكالا علميا استعصت على الأركيولوجيا مواجهته وقضية السلطة بمختلف ضروبها ، فالأركيولوجيا تتغلق في الوصف المحض للخطابات، ففي درسه الافتتاحي "الكوليج دي فرانس" يصرح فوكو على هذا النحو يجب ان تنشأ بين الوصف النقدي والوصف الجينالوجي نوع من التعاون والتآزر والتكامل ، ويرى فوكو في الباحث الجينالوجي شخصا للعلاقات، علاقات "السلطة والمعرفة والجسم"، وقواعد هذا التشخيص جملة من المبادئ :

- تعارض الجينالوجيا والطريقة التاريخية التقليدية .

- عدم اهتمام الجينالوجيا بالجوهر الثابت ومجاوزتها لكل غائبة.

1 (عبد الرحمن التليلي، مرجع سابق الذكر، ص31-32.

2 (المرجع نفسه، ص33.

- تعنى الجينيالوجيا بالمسطح ولا تعنى بالعمق، فيبدوا التلاقي واضحا بين الأركيولوجيا والجينيالوجيا، إلا أن الجينيالوجيا ما فتئت تبتعد عن الأركيولوجيا لتتسغل بموضوعات السلطة والذات في المجتمع الحديث. (1)

✓ الإزاحة الإبستمية لدى ميشيل فوكو

يمكن النظر إلى تصور فوكو لتجاوز المعرفة من خلال نظريته للتاريخ وذلك من ثلاث زوايا، الزاوية الأولى تنتقد بشدة النظرة الكلاسيكية للتاريخ كتعقيب وكخط مستقيم له بداية ونهاية وهو مفهوم نيتشوي إذ يرى فوكو أن التاريخ تقاطعات وانعراجات ما يعني أن التاريخ ليس وحدة سردية منسجمة في غاية الانسجام لها بداية ونهاية، والزاوية الثانية تقوم على فلسفة الحدث من خلال الاهتمام بحجم التقاسيم والأحداث البسيطة والتحري عن الآثار المتخفية أو تلك التي توارت معالمها، خاصة تلك التي علاها النسيان والتعتيم من خلال استنطاق المعالم الصامتة وبعثها من جديد، والزاوية الأخيرة هي الربط بين المعرفة والفلسفة والتاريخ من خلال طرح إشكالية الممارسة الفلسفية والممارسة التاريخية ذلك أن مغزى هذا التوجيه يبرره الخروج من النظرة التقليدية التي كبلت فهم الإنسان للتاريخ من خلال تاريخ الأفكار⁽²⁾، فالإبستمية ليست نوعا من المعرفة إنما مجمل العلاقات التي يمكن اكتشافها بين العلوم وفي وقت معين ينكب البحث حاليا على رصد عواقب الانقطاعات التي تتباين تباينا كبيرا فيما يخص طبيعتها وصفتها مثل الأفعال والعتبات الابستمولوجية التي وصفها "غاستون باشلار"⁽³⁾

✓ التحليل الميكرو فيزيائي للسلطة والبحث في اللامفكر فيه لميشال فوكو:

1 (حسن المصدق، البيولوجيا السياسية، بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة : أنظمة الحقيقة وبنيات المجتمعات الحديثة في فلسفة ميشال فوكو، صحيفة العرب الثقافي، بريطانيا، العدد الحادي عشر، 2007/7/26، ص6.

2 (عبد العزيز العيادي، ميشال فوكو : المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ص16-17.

3 (محمد أمين بن جيلالي، ميشال فوكو وسؤال السلطة من الاختزال إلى... نحو فينومينولوجيا تأويلية للسلطة وإضافة المفكر به في السياسة، مؤسسة دراسات وأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 22 يونيو 2016، ص1-4.

يشير "جيل دولوز" أن "ميشال فوكو" يملك نظرة مغايرة للسلطة فهو لا يبحث في ماهية السلطة بل يستعيز عنه بالتساؤل عن الكيفية التي تنبجس السلطة إلى الوجود، فلا وجود للسلطة إلا وهي ممارسة من هنا هدم فوكو مسلمة أن السلطة شيء قابل للتملك، فالمساءلة الفوكوية للسلطة جوهرها العمل على تحديدها من خلال كشف آلياتها وآثارها وعلاقتها داخل المجتمع أما عن المحددات الأنطو-ابستمية التي شكلت منطلق تفاعله مع الأحداث التي عاصرها، حيث شكلت الثورة الطلابية عام 1968 كحركة تمرد على الحداثة والحداثيين، وقد نتجت هذه الحركة عن أزمة فكرية يمكن اعتبارها منعرجا هاما في التحول والانتقال إلى ما بعد الحداثة، عبر رفض التصور المعرفي للسلطة حول التفكير التقليدي بالاحتكار الذكوري، أي أن السلطة أحادية الجانب ولعل من ثمار هذه الحركة بروز فلسفة مغايرة محورها اهتمام فوكو وتلامذته من بعده "فرانسوا أوالد"، "دانيال ديفير"، "درينوس"، بتقويض المفهوم التقليدي للسلطة، خاصة وأن هذه الفترة شهدت قيادة تيارات اليسار التي ظلت مرتبطة بالتصور الماركسي المضاد للمفاهيم البورجوازية⁽¹⁾، حيث عمد فوكو إلى هدم المسلمات التقليدية للسلطة خاصة أبحاث "إميل دوركايم" والذي يرد فيه إلى دور الحكومة المركزية في تحديد النموذج الاجتماعي كسلطة ملزمة وضابطة، كذلك يرد على نظرية "العقد الاجتماعي" وهي في الآن نفسه احتكار للإكراه فيما يعتقد "توماس هوبز"، يرى فوكو أن السلطة هي نتيجة علاقات قوى تقوم على إخفاء وحجب عمق العلاقات بين الأفراد⁽²⁾، فهي حرب مستمرة بوسائل أخرى، ثانيا نظرية السيادة والحق في أن الحق هو الذي يحدد فعل السلطة ويتنبأ بمفعولها والسيادة هي علاقة المنع والإلزام بدقة الشكل القانوني لسيادة إما أن فوكو لامس أن هذه النظرية أغفلت أن الحياة وليس الحق هو الذي يمثل الرهان السياسي (بيو-سلطة) وعلى هذا الأساس لابد من الاستعاضة بالتأديب بدل السيادة ونحن أمام الشكل الاستراتيجي للصراعات والمجابهاة بأكثر دقة الهيمنة وليس السيادة ثالثا النظرية الماركسية، إن السلطة حسب "كارل ماركس" تتجسد في جهاز السلطة، أن

1) محمد أمين بن جيلالي، مرجع سابق الذكر، ص 4-7.

2) المرجع نفسه، ص 9.

السلطة تتجسد ومتمركزة في مكان واحد الأمر الذي جعل فوكو يبحث عنها في كل مكان فهي حاضرة في كل مكان غير قابلة للامساك عديمة الماهية، مفككة، مبعثرة ومنتشرة.

✓ المفهوم الميكرو فيزيائي للسلطة:

يقع أصل هذا المفهوم في الفضاء الإغريقي وتحديدًا التصور الذري عند "ديقريطس" " الذرة موجودة في كل مكان ، ولما ذهب إليه "أرسطو" إلى أن السلطة ليست واحدة بل متعددة ، ويمكن للمصطلح أن تكون له جذور علمية مع فيزياء الكوانطا كما سبق وأن حللنا ذلك بالإضافة إلى أن فوكو يقترب من "لودفينغ فيتجنشتين" لأنه بمفهومه هذا قد أنجز فلسفة تحليلية سياسية، من حيث أن فوكو تمكن من تفنيت السلطة لجزيئات وذرات أصغر على الطريقة الفيجنشانية في التحليل، تظهر قراءة وتحليل "جيل دولوز" لعمق السلطة الفوكوية في تشريحه فيزيونوميا السلطة باعتبارها مظهر من مظاهر الحداثة، وفي تبيان أنه ما يسودها هو القوة ، أو علاقات القوة التفوق والتغلب، وبالتالي التحكم والمراقبة والعقاب⁽¹⁾ ، وهذا ما دفع "دولوز إلى اعتبار فوكو نيتشوي في ما يخص تحليل وتفكيك لآليات السلطة فهو ينكر المعايير القانونية والاتجاهات الأخلاقية ويقصدها من مضمار السلطة بسبب عجزها عن تنظيم العلاقات بين أعضاء المجتمع ويعتبرها مجرد أوهام بل أنها لا تعمل سوى على إخفاء وتقنيع العلاقات الاستراتيجية الخفية، قد توارت أجزاء وعناصر السلطة ضمن السياسي لكن على حدوده وأطرافه بعد ان كانت السلطة صلبة ومركزها الجهازي ، والأكثر جاهزية للقمع والإكراه المشروع أو غير المشروع ، أصبحت السلطة مرتحلة مفهوما بفعل رتابة المفهوم الكلاسيكي وقصوره المنهجي على مستوى الدراسات السياسية والمتخصصة ، وعمد فوكو إلى تأسيس مفهوم "الاختراق الشبكي" الممتد إلى ميادين السلطة الأكثر عمقا ودقة بدأ فوكو بقلب مقولة "المعرفة أداة في يد السلطة والإنسان" إلى سؤال مدى "السلطة التي تمارس المعرفة"، والتي تشكل العلاقة بين الفرد وأفكاره فلا يمكن الفصل التعسفي بينهما لأن السلطة مرتبطة بمعرفة ما وهذه توحدت بالسلطة

1 (محمد شحرور، الدين والسلطة ، قراءة معاصرة للحاكمية ، دار الساقي ، الطبعة الأولى ، 2014م، ص277.

لما أصبحت منطقتها، إن فعل السلطة ينتج المعارف وعلى رأسها العلوم الإنسانية فالامتزاج بين السلطة والمعرفة ساهم في ميلاد مؤسسات عقابية (ملاجئ، سجون) وأن التقدم الحاصل في المؤسسات العقابية ما بعد الحداثة سببه تطور في تقنيات المراقبة ، فكلما علت مكانة المعرفة في المجتمع زادت سلطتها فيه، ولا يقوم على الإكراه بل على الإقناع⁽¹⁾.

وعليه فالجسد معرض لقوى متعددة ساهمت في إخضاعه وترويضه ، قام فوكو بتفكيك الآليات والنظم المساهمة في عملية الإخضاع وكيف تمارس السلطة على الجسد في المدرسة والسجن والمصنع والمستشفى؟ ، أصبح الجسد ذاك الكائن المنضبط "ميلاد العيادة" انهم فوكو بسؤال كيف تنتج المعرفة والممارسة الطبية الجسد وتطوعه داخل المؤسسات المستقرة للسلطة الطبية؟⁽²⁾، أما في " مولد السجن " ، فقد حلل فوكو نمو الجسد المنضبط كنتيجة للممارسات العقابية ، وأخيرا في " تاريخ الجنسية" ، وعليه تعد السلطة لا مركزية لا سياسية ، ميكرو فيزياء ، مجهرية لا مرئية بالعين المجردة لكن في المقابل عرفت أبحاث وأفكار فوكو عدة انتقادات على رأسها أبحاث "ميشيل دوسارتو" ، على أساس أن فكر فوكو حول السلطة هو نظرة للسلطة وليس نظرية ، وحسبه أنه عمل على إعدام السلطة، لكن في نفس الوقت لا زالت أبحاث فوكو تدرس وتتكك فهمها منطقتها المعتمد.

1 (محمد أندلسي ، الفلسفة السياسية المعاصرة، تصور ميشيل فوكو ، نقلا عن . www.mohamed andaloussi.word press.com ، تم تصفح الموقع يوم 2019/08/28.

2 (المرجع نفسه .

المحاضرة رقم 09: دعاة نوي النزعة ما بعد الحداثة وهدم الأنساق المعرفية والنظرية للاتجاهات الوضعية

يؤكد "روبرت سوان" على أنه بالرغم من عدم وجود اتفاق حول جذوره إما أن استخدام مفهوم ما بعد الحداثة يعود إلى أواخر القرن التاسع عشر بينما يشير "جميل حمداوي" إلى الارتباك الحاصل في نسب المصطلح إلى استخدامه لأول مرة فهناك من يرجع استخدام المفردة إلى المؤرخ البريطاني "أرنولد توينبي" عام 1954 في حين ربطها البعض بالشاعر والناقد الأمريكي "تشارلس أولسون" في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين في حين أحالوها إلى ناقد الثقافة "ليزلي فيدلر" سنة 1965 لكن البحث في أصول المفردة أضفى باكتشاف استخدامها قبل هذه التواريخ بكثير فقد استخدم "جون واتكر تشاجمان" مصطلح الرسم ما بعد الحداثي في عقد 1870، واستخدم "رودولف بانغيز" المفردة عام 1917⁽¹⁾، ولكن ظهرت ما بعد الحداثة أولاً في مجال الرسم والتشكيل والعمارة والهندسة المدنية فإنها انتقلت بعد ذلك إلى الفلسفة والأدب والفن والتكنولوجيا لتصل إلى حقل العلاقات الدولية في أواخر الثمانينات من القرن العشرين وجاءت في سياق تعقد الظروف السياسية كانهاء الحرب العالمية الثانية وولوج الحرب الباردة، وانتشار السلاح النووي، إعلان ميلاد حقوق الإنسان، ظهور الفلسفات اللاعقلانية كالسريالية الوجودية والفرويدية والعدمية، وقد مثلت الفلسفة التكيكية التي جاء بها "جاك دريدا" جسر للانتقال والعبور من فلسفة الحداثة إلى فلسفة ما بعد الحداثة، وكحركة فلسفية يمكن اعتبارها بمثابة رد فعل واسع اتجاه الافتراضات الفلسفية والقيم ووجهة النظر الفكرية التي ميزت المرحلة الحديثة من التاريخ الغربي الأوروبي⁽²⁾ أي في الفترة الممتدة من ظهور الثورة العلمية في القرنين السادس عشر والسابع عشر إلى غاية منتصف القرن العشرين، وك مفهوم يجادل "ريتشارد دينيتاك" أن تحديد معنى ما بعد الحداثة هو مسألة خلافية ذلك من خلال الاصطلاحات المختلفة لهذا التيار حيث هناك من يستخدم اصطلاح ما بعد البنيوية.

(1) جميل حمداوي، مدخل إلى مفهوم ما بعد الحداثة، نقلا عن www.alukah.net، تم تصفح الموقع يوم 2019/08/28.

2 see encyclopedia Britannica article of postmodernism <http://www.britanica.com/ebchecked>

Post –structuralism ، وأحيانا نجد مصطلح التفكير Preconstruction، يعرفها "ستيفن سميث"، بأنها تهتم بشكل أساسي بالتفكير ورفض الوثوق بأي وصف للحياة الإنسانية التي تجادل بأنها تحوز الحقيقة في حين يرى "ايان كريب" وأنها مجموعة من التطورات في الفلسفة الحديثة والتي انبثقت مباشرة عما أصبح يعرف بالتحول اللغوي ، أما "جان فرانسوا ليوتار" يعرفها بقوله ببساطة شديدة أعرف ما بعد الحادثة كميل إلى الشك اتجاه ما وراء السرديات (1) ولقد ساهم مفكرون بارزون في تخصصات مختلفة في تقوية وإثراء الاتجاه الفكري الذي مثلته ما بعد الحادثة ،حيث نجد رائد الفلسفة ما بعد البنيوية "ميشال فوكو" اهتم كثيرا بمفهوم الخطاب والسلطة والقوة أما "جاك دريدا" رائد التفكيكية في الفلسفة الحديثة قد اهتم بتفكيك للثقافة الغربية وتقويض مقولاتها المركزية بالنقد والتشريح بغية تعرية المؤسسات الغربية المهيمنة(2)

وهناك من قارب مفهوم ما بعد الحادثة من خلال مناظير أربعة :

- المنظار الفلسفي، الذي يرى أن ما بعد الحادثة دليل على الفراغ بغياب الحادثة نفسها .
- المنظار التاريخي : الذي يرى أن ما بعد الحادثة هي حركة ابتعاد عن الحادثة أو رفض لبعض جوانبها .
- المنظار الأيديولوجي والسياسي: الذي يرى أن ما بعد الحادثة هي تعرية للأوهام الأيديولوجية الغربية
- المنظار الاستراتيجي : الذي يرى أن مقارنة النصوص ما بعد الحادثة لا تتقيد بالمعايير المنهجية وليست ثمة قراءة واحدة بل قراءات متعددة ومنفتحة (3)

1 (جميل الحداوي ، مرجع سابق الذكر .

2 (المرجع نفسه.

3 (المرجع نفسه .

✓ ما بعد الحداثة امتداد أم رد فعل على دعاة نوي النزعة ما بعد الحداثية

لفهم الأسس الفكرية لما بعد الحداثة لا بد أن نستند إلى ما قدمته الحداثة في نظرتها الثقافية والتاريخية للعالم، والتي تفترض ضمناً التقدم الايجابي المبني على الإغلاء من شأن الحقيقة الموضوعية والقيم الفردية وتستند الحداثة في نظر أغلب الفلاسفة والمفكرين إلى فكرتين أساسيتين، كانتا بمثابة الدافع والمحرك الرئيسي لتطور كل من الفكر والمجتمع الغربيين بداية من عصر التنوير وإلى غاية الراهن الحاضر تمثلتا في فكرة الثورة ضد التقليد أو التراث وفكرة مركزية العقل وشكل الإنسان وقيمه الفردية مركز هذه الحداثة، لذا اعتبرت الحداثة بمثابة لحظة واعية ارتكزت على انتظام العقلانية والفردية والعلمانية والقيم الحرة في الاندفاع الحضاري قادرة على إحداث تحولات عميقة في البيئة الاجتماعية والبنائية للمجتمع⁽¹⁾ ، وعلى الرغم من أن الحداثة وجدت من أجل تحرير الإنسان إلا أنها وفي سياق تطورها العام وضعت في أشكال جديدة من العبودية، عبودية العقل وتم استلاب هذه الذات من مقوماتها الإنسانية.

وباسم الحداثة أصبح الإنسان آلة، واضطلع بهذه المهمة مفكرون ناقمون ورافضون للفكر الحداثي، حيث سعوا إلى تقويض الأسس الفردية وهدم المقولات المركزية التي هيمنت على الفكر الغربي كاللغة والهوية والأصل والعقل، لذا حاولوا الانفكاك عن اللوغوس والتقليد وما هو متعارف عليه، والانفتاح على الغير عبر الحوار والتفاعل و التناص طرح "جون فرانسوا ليوتار" في كتابه المعروف "الوضع ما بعد الحداثي"، تقرير حول المعرفة الذي نشر سنة 1979 أعلن عن سقوط النظريات والأيديولوجيات الكبرى وعبر بها عن قراءة الواقع أو تفسيره لأن هذه الأنساق الفكرية تعاني من الجمود والانغلاق لذا فتحت باباً أو أرضية انطلاقية جديدة التأسيس مفهوم جديد وهو المفهوم لما بعد الحداثي وتجلت افتراضاته فيما يلي :-

■ هدم الأنساق الفكرية الجامدة والأيديولوجيات الكبرى المغلقة وتعويضها.

(1) علي وطفة ، مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة نقلا عن .http // www.afgabriabed.net/n43-08

- العمل على إزالة التناقض الحداثي بين الذات والموضوع وبين الجانب العقلاني والجانب الروحي للإنسان، وذلك من منطلق عدم وجود مثل هذه الثنائية الميتافيزيقية
- رفض الحتمية الطبيعية والتاريخية التي كانت سائدة في مرحلة الحداثة لاسيما مفهوم التطور الخطي الذي سجل حضوره في الأنساق الاجتماعية مرتكزات فكر ما بعد الحداثة (1)

و لقد أجاد جميل حمداوي في جمعها وتقديمها على النحو التالي :

- **التقويض :** حيث تهدف ما بعد الحداثة إما تقويض أسس الفكر الغربي وتحطيم مرتكزاته المركزية باستخدام آليات التفكير .
- **التشكيك :** فأهم ما تقوم به فلسفة ما بعد الحداثة هو التشكيك في المعارف التي تدعي أنها يقينية بل تشكك أصلا في إمكانية والقدرة على الوصول إلى المعارف يمكن أن توصف باليقينية.
- **العدمية:** فقد يتأمل جوهر فلسفات ما بعد الحداثة سيجدها عدمية وفوضوية تقوم على. تغييب المعنى وتقويض العقل ولا تقدم بدائل عملية وواقعية (2)
- **التفكك والانسجام:** فعلى خلاف فلسفة الحداثة التي تبنت عن النظام والانسجام وتهدف إلى توحيد النصوص والخطابات إذ أن ما بعد الحداثة تعارض فكرة الكلية وبالمقابل تدعو إلى الاختلاف والانظام وتفكيك ما هو منظم ومتعارف عليه .
- **تفكيك المقولات المركزية الكبرى:** استهدفت ما بعد الحداثة تفنيد وإبطال الثنائيات التي قام عليها العقل الغربي الحديث .

1 (محمد طاهر عديلة ، تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية ، دراسة في المنطلقات والأسس ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، تخصص علاقات دولية ، جامعة باتنة 1 ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، قسم العلوم السياسية ، 2014-2015م ، ص 295.

2 (جميل حمداوي ، مرجع سابق الذكر .

- **الانفتاح :** إذ كانت البنيوية الحداثية قد مالت إلى الانغلاق الداخلي وعدم الانفتاح على المعنى والسياق الخارجي والمرجعي فإن فلسفة ما بعد الحداثة اتخذت لنفسها الانفتاح وسيلة للتفاعل والتفاهم .
- **قوة التحرر:** تعمل فلسفات ما بعد الحداثة على تحرير الإنسان من قهر المؤسسات المالكة للخطاب والمعرفة والسلطة وتحريره من أوهام الأيديولوجيا وفلسفة المركز .
- **ما فوق الحقيقة:** ينكر مفكرو ما بعد الحداثة وجود حقيقة يقينية وثابتة.
- **التخلص من المعايير والقواعد :** يرى فوكو أن النص أو الخطاب متعدد الدلالات ويحتمل قراءات مختلفة (1).

✓ **الأسس الابستمولوجية والمنهجية لدعاة النزعة ما بعد الحداثة :**

يعلن المفكرون ما بعد الحداثيون رفضهم التام للأبستمولوجيا الوضعية والمناهج التحريرية التي قدمها الفلاسفة الحداثيون ويقفون موقفا عدائيا اتجاه الادعاء بوجود حقيقة مطلقة أو عالمية فهم يسقطون التمييز التقليدي الذي أقامته الوضعية بين النظرية والممارسة بدعوى وجود فلسفات فاصلة بين الذات والموضوع ، والتي تجعل من الموضوعية والحيادية أمرا ممكنا، ولكن هل يهدم ما بعد الحداثيين بصفة مطلقة أي إمكانية للمعرفة؟ الجواب لا لأنهم يدافعون عن معرفة نسبية وتعددية وتاريخية قابلة للنقد والمراجعة (2).

فكتوجه نظري تتطلق الانعكاسية أو التأملية من المعارضة الجذرية للوضعية حينما رفضت فكرة وجود معايير موضوعية مستقلة عن الفكر والممارسة الإنسانيين ، باختصار يمكن القول أن الأفكار والكلمات واللغة هي ليست مزايا تعكس أو تعطي نسخة طبق الأصل عن العالم الحقيقي أو الموضوعي كما تصوره الوضعية ولكن هي بالأحرى أدوات بواسطتها نكون ونضع علمنا .

1 (جميل الحمداوي ، مرجع سابق الذكر .

2 (محمد الطاهر عذيلة، مرجع سابق الذكر، ص298.

أما عن الصعيد المنهجي طرح ما بعد الحداثيون أسئلة تعكس قلقهم الإبستمولوجي حيال ادعاءات الوضعية بشأن الحقيقة لخصها "خوان الياس" فيما يلي:

- إلى أي مدى يمكننا حقا بحقائق إمبيريقية قابلة للإثبات حول السياسة العالمية؟

- هل من الممكن حقا الوصول إلى نظرية عامة بطريقة علمية حيادية؟

- هل ادعاء الحياد الخالي عن القيم يحجب حقيقة أن النظريات تخدم مصالح الجماعات القوى في المجتمع؟

ولقد أضفت فلسفة ما بعد الحداثة على إزاحة القلق الإبستمولوجي في الوقت نفسه إلى تغيرات وتحولات منهجية، حيث بدأت تركز على مفاهيم النسبية الثقافية وتبتعد عن مفهوم "النظريات الكبرى" ذات النزعة الكلية (1)

✓ التفكيكية لدى جاك دريدا :

طرح "جاك دريدا" نظريته بنقد الفكر البنيوي ، ومصطلح التفكيك الذي جاء به دريدا لم يكن يقصد به الهدم والتخريب ، وإنما القصد منه إعادة ترتيب عناصر الخطاب، ومصطلح التفكيكية في مستواه الدلالي العميق يدل على تفكيك الخطابات والنظم الفكرية وإعادة النظر إليها بحسب عناصرها ، إن التفكيك كما يعبر عنه دريدا حركة بنيانية وضد بنيانية في الآن نفسه (2) فنحن نفكك بناء أو حادثا مصطنعا لنبرز بنيانية وأضلاعه وهيكله ولكن نفك في آن معا البنية التي لا تفسر شيئا فهي ليست مركزا ولا مبدأ ولا قوة فالتفكيك هو طريقة حصر أو تحليل يذهب أبعد من القرار النقدي ومن بين أهم المفاهيم التي عملت التفكيكية على هدمها كمركزية اللغة ، مركزية العقل، مركزية الحقيقة ، التي شكلت إلى وقت قريب نماذج إرشادية هيمنت على العقل

1 (محمد طاهر عديلة ،مرجع سابق الذكر ، ص298.

2 (داود خليفة، شنوف نصر الدين، تحليل الخطاب في ضوء المناهج الفلسفية والنقدية المعاصرة، مرجع سابق الذكر ، ص90-91.

الغربي (1) ، تنطلق التفكيكية أولاً من التمييز بين ما هو مكتوب وما هو منطوق ، حيث إن للمنطوق أسبقية قبلية على المكتوب فمن هنا كان المكتوب هو حمولة المنطوق، إن الكلمات اللغوية التي ننطقها لا تتمتع بأي وجود خارجي أو تأثير ذاتي وإنما هي مجرد صور سمعية نتمثلها عندما نستحضر المفاهيم، وفي تحليلها للخطاب أو النص تستهدف التفكيكية إلى تفكيك النص بما هو غير متماسك وبما هو منتج لمعان غير قابلة للتجميع وبالتالي فالقراءة التفكيكية للنص تكشف عن ضبابية العلامة اللغوية بين المعنى المرجعي والمعنى المجازي فالتفكيكية تفحص التناقضات التي يحملها النص أو الخطاب تلك التناقضات التي تتخفى خلف الاستقرار الذي يوحي به النص(2)

✓ أهم الافتراضات المعرفية لدعاة النزعة ما بعد الحداثة في حقل علم السياسة والعلاقات الدولية :

■ التناقض في فهم الواقع الدولي

تنطلق ما بعد الحداثة من مجموع الأسس الأنطولوجية عقيدة التناقض في دراستها الثلاثية (المؤلف والنص والقارئ) على أساس أن المؤلف يموت بمجرد كتابته للنص وينتهي دوره و يقع العبء على القارئ من خلال تأويله للنص، ولا توجد فكرة واحدة تسيطر على النص وبالتالي تفسيراته تكون متعددة فتوظيف التناقض في فهم النص يعطي دوراً أساسياً للغة في فهم وإدراك العالم الاجتماعي فاللغة هي التي تلعب الدور الأساسي في بناء الواقع (3)

■ يقر دعاة النزعة ما بعد الحداثة بأن الدولة القومية تفرض قيوداً على الأفراد لاعتبارات أنها حاولت توحيد مجتمعاتها السياسي بالإكراه في تجاهل للخصوصيات وبالتالي فدعاة ما بعد الحداثة هي ثورة على المؤسسات السياسية ، كما أنها تقر إلى الغاء الفرق بين

1 (المرجع نفسه ، ص91.

2 (أحمد حمدي هني، جاك دريدا والنظرية التفكيكية ، أوراق فلسفية ، العدد الثالث عشر، مصر ، القاهرة، 2005م، ص366.

3 (باسم علي الخريسان، العولمة و التحدي الثقافي ، دار الفكر العربي ، لبنان ، بيروت ، 2009م، ص112.

السياسة الداخلية والخارجية والإنسان لا يولد يعرف بواسطة ثقافته ومجتمعه ، كما أن المجتمع تسوده الفوضى لذا أقرروا على نقد الأيديولوجيات وفي رأيهم أننا في مرحلة نهائية الأيديولوجيات كما أنها ترفض العلاقة بين الذات والموضوع على أساس أن الذات سجين المعرفة، كما يستخدم دعاة ما بعد الحداثة تقنيات التفكير المضادة للمناهج (1)

بالرغم كل هذه الإسهامات لدعاة ذوي النزعة ما بعد الحداثة كموقفها المضاد للشمولية السياسية والأحادية الفكرية والدعوة إلى الأنساق الفكرية و المنهجية المفتوحة ، إلا أن مساهمتها في بلورة تصور جديد في حقل علم السياسة والعلاقات الدولية المتواضعة لكونها ضلت متمحورة حول النقد الابستمولوجي والمنهجي للاتجاهات النظرية التقليدية القائمة أساسا مع الفلسفة الوضعية والتجريبية العقلانية في هذا الصدد يرى المفكر الماركسي الأمريكي "فريدريك جيمسون" في كتابه "ما بعد الحداثة أو المنطق الثقافي للرأسمالية في مرحلتها الراهنة" ، أن الأفكار التي تدعو لها نظرية ما بعد الحداثة هي بنية فوقية ورؤيتها النقدية للنظريات التفسيرية التقليدية هي تعبير عن إفلاس هذه النظرية و منطلقاتها المعرفية من خلال سعيها إلى إعادة النظر في العديد من المفاهيم والأدوات التحليلية الابستمولوجية مثل المعرفة الواقع، العقل، والحقيقة، يصعب اخضاعها للواقع الدولي ورغم ذلك فهي تمثل إحدى أهم المقاربات الفكرية المنهجية التي يتوقع أن تؤسس نقلة نوعية في دراسة حقل العلاقات الدولية(2)

1 (عبد الناصر جندلي ، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية ، دار الخلدونية ،

الجزائر ، الجزائر العاصمة ، الطبعة الأولى ، 2007م ، ص331.

2 (المرجع نفسه ، ص 332.

قائمة المصادر والمراجع :

أولا المراجع باللغة العربية

01/ الكتب باللغة العربية :

- الجابري علي حبيب ، فلسفة العلوم، دروس في الأسس النظرية وآفاق التطبيق، دار الفرقة للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2014.
- الحريري حسن ، التأويل الابستمولوجي اللاوضعي بين براديغم توماس كون وبرنامج بحث امبري لأكاتوس، مؤسسة دراسات وأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 21 يناير 2016.
- العيادي عبد العزيز ، ميشيل فوكو : المعرفة والسلطة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت.
- بدوي أحمد موسى ، الأبعاد الاجتماعية لإنتاج واكتساب المعرفة؛ حالة علم الاجتماع في الجامعات المصرية في سوسيولوجيا المعرفة العلمية، المفهوم والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، سبتمبر 2009.
- بلانشي روبر ، الابستمولوجيا ترجمة محمود بن جماعة، دار محمد علي للنشر، تونس، صفاقس، الطبعة الأولى، 2013.
- جندلي عبد الناصر ، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية ، دار الخلدونية ، الجزائر ، الجزائر العاصمة ، الطبعة الأولى، 2007.
- حسين كركري علي ، الابستمولوجيا في ميدان المعرفة، شبكة المعارض لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2010.
- زكريا جميل عصام ، اتجاهات معاصرة في نظرية المعرفة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2012.
- شحرور محمد ، الدين والسلطة ، قراءة معاصرة للحاكمية ، دار الساقى ، الطبعة الأولى 2014م.

- طريف الخولي يماني ، فلسفة العلم في القرن العشرين، الأصول، المصادر والآفاق المستقبلية، الكويت، عالم المعرفة، 2000.
- عابد الجابري محمد ، مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطوير الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، بيروت، الطبعة التاسعة، 2018.
- علي الخريسان باسم ، العولمة و التحدي الثقافي ، دار الفكر العربي، لبنان، بيروت ، 2009م،
- غليك جاييمس ، نظرية الفوضى : علم اللامتوقع ، ترجمة أحمد مغربي ، دار الساقى ، لبنان ، بيروت، الطبعة الأولى، 2008م.
- فيرابند بول ، ثلاث محاورات في المعرفة، ترجمة: محمد أحمد السيد، منشأة المعارف بالإسكندرية، (ب.ط)، (ب.س.ن).
- قاسم جيدل ، فلسفة القيمة معناها ودلالاتها من سقراط أزمنة الحداثة، الاستغراب، 2016.
- محمد عارض نصر ، ابستمولوجيا السياسة المقارنة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2002.
- محمد فرج أنور ، نظرية الواقعية العلاقات الدولية، دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، الطبعة الأولى، 2007.
- مذبوح لخضر ، فكرة التفتح في الفلسفة: كارل بوبر، الدار العربية للعلوم ناشرون ،لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2009.
- وجيه السعيد يسرى ، ابستمولوجية امبري لاكاتوس، المنهجية في برامج البحث ،ابن النديم للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2012.
- وقيدي محمد ، فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، الطبعة الثانية، 1984.

- ولد يوسف نعيمة ، مشكلة الاستقراء في ابستمولوجيا كارل بوبر دار الروافد الثقافية ناشرون، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2015.

- خليفة- داود ، ابستمولوجيا التعقيد والفكر المركب عند إدغار موران ، منشورات ضفاف، لبنان ، بيروت، الطبعة الأولى ، 2019.

02/المذكرات والأطروحات :

- حمشي محمد ، النقاش الخامس في حقل العلاقات الدولية ، نحو إقحام نظرية التعقيد داخل الحقل ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتورا علوم في العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، تخصص علاقات دولية، جامعة باتنة 1 قسم كلية الحقوق والعلوم السياسية ، قسم العلوم السياسية، 2016 - 2017م.

- بوغالم جمال ، الفكر العلمي الجديد بين القطيعة والتواصل، غاستون بشلار، وميشال سير نموذجين أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الفلسفة، جامعة وهران 02 كلية العلوم الاجتماعية، 2016-2017.

- حمشي محمد ، نظريات العلاقات الدولية بين التعددية والهيمنة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، تخصص علاقات دولية، جامعة باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، 2010.

- زقاغ عادل ، النقاش المراجع ضمن النقاشات النظرية في العلاقات الدولية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، تخصص علاقات دولية ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، قسم العلوم السياسية ، جامعة باتنة ، 2010-2011.

- طاهر عديلة محمد ، تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية ، دراسة في المنطلقات والأسس ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، تخصص علاقات دولية ، جامعة باتنة 1 ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، قسم العلوم السياسية ، 2014-2015م

03/المجلات والدوريات :

- التليلي عبد الرحمن ، فوكو: الحريات منهج أم فتح في الفلسفة؟، مجلة عالم الفكر، العدد الأول، 30 أبريل 2002.
- السيد هيثم ، مصطفى ياسر ، نظرية الكوانتوم بين العلم والفلسفة ، مناظرة أكاديمية، مجلة متون ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة مولاي الظاهر ، سعيدة ، الجزائر ، العدد 11، أبريل 2016
- الشاروني حبيب ، قراءة للمصطلح الفلسفي، ترجمة صفاء عبد السالم جعفر، دار الثقافة العلمية، مصر الاسكندرية، الطبعة الأولى، أكتوبر 1998.
- المصدق حسن ، البيولوجيا السياسية ، بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة : أنظمة الحقيقة وبنيات المجتمعات الحديثة في فلسفة ميشيل فوكو ، صحيفة العرب الثقافي، بريطانيا ، العدد الحادي عشر ، 2007./7/26
- أمين بن جيلالي محمد ، ميشيل فوكو وسؤال السلطة من الاختزال إلى ...نحو فينومينولوجيا تأويلية للسلطة وإضافة المفكر به في السياسة ،مؤسسة دراسات وأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية ، 22 يونيو 2016.
- جابر مليكة ، اسهام الابستمولوجيا في تعليمية علم الاجتماع، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن، جوان 2012.
- حمدي هنى أحمد ، جاك دريدا والنظرية التفكيكية ، أوراق فلسفية ، العدد الثالث عشر، مصر ، القاهرة، 2005.
- خليفة داود ، شنوف نصر الدين، تحليل الخطاب في ضوء المناهج الفلسفية والنقدية المعاصرة، جامعة حسنية بن بوعلي، الشلف.
- دعيس خير الدين ، أمين دعيس محمد ، القطيعة وقابلية التكذيب، مقاربة في ابستمولوجيا باشلار وبوبر ،مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة، العدد الثالث، جوان 2017.

- زقاغ عادل ، العصر الوسيط الجديد وتداعياته على النظرية والممارسات في العلاقات الدولية، مجلة المفكر، العدد السابع، جامعة محمد خيضر بسكرة.

- عبد السلام الزائدي آمنة ، مفهوم نظرية المعرفة، مجلة كلية الآداب، العدد الثالث، (ب.س.ط).

- عبد الشافي عصام ، نمو نموذج معرفي في العلاقات الدولية، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2016/03/21.

- ناظم الزهيري خلال ، أدوات تصنيف وتنظيم المعنوي الرقمي في بيئة الأنترنت الأنطولوجيا، المجلة العرقية لتكنولوجيا المعلومات، المجلد الثامن، العدد الأول، 2017.

04/المواقع الإلكترونية :

- أندلسي محمد ، الفلسفة السياسية المعاصرة، تصور ميشيل فوكو ، نقلا عن www.mohamedandaloussi.wordpress.com.

- حمداوي جميل ، مدخل إلى مفهوم ما بعد الحداثة ، نقلا عن . www.alukah

- س درزيك جون ، الثورات المعرفية والتحولات الرئيسية في علم السياسة ترجمة: عادل زقاغ، 23 مارس 2010، نقلا عن: bohothe.blogspot.com

- نظرية الفوضى لورنتيز بوينكر ،نقلا عن :[pdf factory.com](http://pdfactory.com)

- وطفة علي ، مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة نقلا عن [http // www.afgabriabed.net/n43-08](http://www.afgabriabed.net/n43-08).

- يوسف أحمد ، الابستمولوجيا المتطبعة وفهم للقابلية للمقارنة، دراسة في طبعانية كواين: مدخل إلى النزعة الطبعانية ، 04 أوت 2018، مجلة المحطة الإلكترونية، نقلا عن: elmahaitta.com

ثانيا :المراجع باللغة الاجنبية

المراجع باللغة الفرنسية :

أولا الكتب :

- Guston Bachelard, matérialisme Rationnel P.U.F Paris, 1963.
- jeans Paiget, logique et connaissance scientifique, paris, Gallimard encycl. clop id, 1967
- malherbe J- F, Karl Popper et le positivisme logique Paris, pdf, 1997
- Popper Karl, la logique de la découverts scientifique, préface de 1959.
- Radinsky G A. du positivisme logic au rationalisme critique in archives de philosophie, 1981, P106.
- suchodoiski Pagdan, , les facteurs du développement de histoire des sciences, paris librairie scientifique et technique a Blanchard, 1970.
- Blanch Robert é, L'Epistémologie, que sais-je-no 1475, Paris presses universitaires de France, 1972
- Logique et connaissance, sous la direction de jean Piaget paris, ga llimard 1969,

المراجع باللغة الانجليزية :

01/ الكتب

- Dryzek Johns, Revolutions without en enemies : Key transformation in political science, American political science, Review, 2006.
- Fried Richs Jorge, the meaning of new medieavalism, An exercise in theoretical
- popper K., the logic of scientific discovery co- tradition from German to English by P.R.juliu freed and land freed Hitchens ton and co. London Basic Books. New York, 1959
- popper Karl, postscript to the logic of scientific discover v01, realism and the aim of science, edited by www.bathlerIII Routledge, London, 1982.

-Campbell A.B. Applied Choo's Theory A Paradigm For Complexity Academic press Unc San Pie go 1993.

imre- Lakatos the methodology of scientific research programmers, edited by john Worrall and Gregory Currie philosophical popper val1, Cambridge university press, London, New York, 1978.

reconstruction in European approaches to international relation theory, a hawse withe many mansion London, 2004.

-see encyclopedia Britannica article of postmodernism [http www.britanica .com/ebchecked](http://www.britanica.com/ebchecked)

-The methodology of scientific research programmers, philosophy Cal paper w.val, edited by J-wow all and G. wnie Cambridge university press, 1995.

